ايهما الامثل !

نياراته | يدفعان هذا المخلوق الناطق الانسان ، واحد يقذفه في مجتمعه ليذوب فيه ذوبان الساقية في البحر ، وواحد يقذف مجتمعه في نفسه ليذيبه كما تذيب الشجرة في غصونها الضوء والماء والهواء .

وقيمة الانسان الاول لا بما في نفسه وحده بل بما في مجتمعه ، هذا الانسان المعنوي الضخم الذي كونته وحدات بشرية ، وتجمعت فيه القوى حتى خرج من يد الانسان وكأن الحي فيه نبضة من نبضاته أو خفقة من خفقاته . مجتمعان : هذا يعينا ، وذاك نعيه .

وقد قرر البناؤون ان المجتمع الحديث السائرة اليه المدنية هو تجمع قوى الناس على اختلاف الرأي والشعور والنزعة والقوى الجسدية والروحية في بوتقة واحدة محورها الوطن ، حيث يخضع ، الانسان لقوانين ونظم تدفعه كلها الى خدمة معينة ونفع معين .

أما في المجتمع الثاني ، فقد رآه على ما يبدو البناؤون ظالماً ضاعت فيه روح المساواة .

هذا صحيح ، وصحيح مثله هو ان الانسانية اليوم تعمل بجهد ونشاط لتذوب قوى الفرد في خلايا المجتمع ، وهي تظن انها تعمل في خدمة نفسها ، ولكنها تناست على ما يظهر ان المجتمع الذي يسخر ابناءه لخدمته هو مجتمع يقضي على كثير من قوى الفرد منطلقة أو جامحة .

ومن هنا نشأت فكرة التذمر العنيف الذي نلمسه في كل مؤسسة قائمة . فالعامل يتذمر من معلمه والمعلم يتذمر من شريكه والشركاء يتذمرون من العملاء ، وهكذا بالتسلسل . . .

ونحن لو احصينا الناس عندنا وعند غيرنا واسباب تمردهم وتضجرهم لوجدنا ان تسعين بالمئة منهم يشكون من هذه التيارات النظامية الشرعية الاجتماعية التي ابتدعوها لأنفسهم ، ثم لتكون حاجزاً امام اجنحتهم ، وامام تفتح أذهانهم ، وامتداد خيالهم .

ان مجتمعنا يحاول ان يبتلع الفرد وقواه ليكون منه كائناً معنوياً متماسكاً فينتج انتاجاً تعاونياً مشتركاً ، والغريب ان هؤلاء الافراد من الناس الذين يحاول المجتمع ان يصهر كيانهم في كيانه ، يصفقون لهذا المجتمع ويكبرون،وينسون ان الانسان وحده هو قبل وجود فكرة المجتمع مجتمع بذاته، وان علينا ان ننظمه كوحدة منفردة تنظيماً سامياً نبيلاً وان نتركه بعد ذلك يعمل ويخلق ويثمر، دون ان نلاشيه في مجتمعه ونجعل منه قطعة من مجتمع لا مجتمعاً صغيراً في مجتمع كبير .

لست أدعو الى الفوضى،ولكني في هذه اللمحة السريعة أود ان أنبه مشيدي المجتمع الى ان اهتمامهم يجب ان ينصب بكليته لا لتجبيل قوى الناس في جبلة واحدة هي الوطن بل يجب ان نفتح ذهن الفرد بحرية ، ونفك عنه القيود ، ونطلق أجنحته ، ليشعر ان الوطن كله حبة في قلبه،وان عليه الاعتناء بحبة قلبه والسهر على راحتها ونموها .

قد يرى البعض في رأيي ثورة على فكرة الوطن ، ولكني لا أقدر ان أرى قيمة لمجتمع يعيش فيه اناس ، هم آلات حية عمياء مسيرة في وجهات معينة .

ان الانسان أغنى شيء في الارض ، وأكبر شيء عليها ، فلنخلق انساناً كبيراً حراً طلقاً من مسكنة القوانين الضيقة لكي يخلق لنا وطناً حراً كبيراً طلقاً من مسكنة العبودية .

علينا ان نحرر الانسان من المجتمع ، لا ان نجعله آجرة في جدار ، أو حجراً في بنيان مجتمع ضيق .

سمية حموي

القصة الوجودية عند سارتر

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

✶

ابرز ميزة للنزعة في فرنسا اتخاذها طابعاً ادبياً فيه من التجديد بقدر ما فيه من العمق، حتى اصبح في فترة ضئيلة البدع الادبي الجديد فيها، بعد ان عفى على الوان البدع الادبي الاخرى من بدع برجسون وبدع التحليل النفسي ثم السيرياليسم، ولم يعد مقصوراً على سارتر، موجهه الاول والاكبر، ومن ينتسب اليه من حواريين على رأسهم مدام سيمون دي بوفوار، بل امتد الى التيار الادبي العام فكاد يسود افقه ان بالاخذ عنه او بمعارضته وكان نجاحه مضموناً على اسس ثابتة منذ البداية: لأنه يقوم على مذهب فلسفي صار وحده المعبر الحقيقي عن روح هذه الفترة من فترات التطور الحضاري، لا في اوربا وحدها، بل وايضاً في بقية العالم، وان كان في اوربا اظهر من غيره، لأنه الصورة الفلسفية لآخر امكانية روحية للحضارة الأوربية. كما أنه يمتاز خصوصاً من بقية المذاهب الادبية التي شاهدها هذا القرن في فرنسا بأنه قد أقيم على فهم جيد لأصوله الفلسفية التي يصدر عنها، وبخاصة عند زعيمه سارتر، فانه جمع بين الفلسفة العميقة والادب الرفيع: فكان صاحب فلسفة بقدر ما كان صاحب أدب. ومن هنا كان امتيازه من أديب آخر مثل اندريه جيد الذي يدعي التأثر الحق بفلسفة نيتشه، بيد انك لو فتشت في آثاره الادبية، وعلى رأسها « قوت الشهوات Les nourritures terrestres » لما ظفرت بتأثر عميق من نوع ما تجده مثلاً عند استيفان جيورجه الذي شاركه في التأثر بنتشه، ولكنه يكشف عن تمثل طبيعي قوي لفلسفة نيتشه، بينما لا نكاد نجد غير آثار سطحية لهذا التأثر عند أندريه جيد، وذلك لأنه لم يكن من علو الكعب في فهم الفلسفة بحيث يستطيع ان يتأثر من الباطن. ولم يكن هذا لتغلب الجانب الأدبي الخالص أو لتجاف عن ادب الفكرة كما قد يميل اليه بعض الادباء، فان أندريه جيد لم يذهب هذا المذهب، وانما كان لضآلة حظه من الدرس الفلسفي الخليق باحداث اخصاب من الأعماق.

ومن هنا كانت اهمية سارتر في الحركة الأدبية الفرنسية المعاصرة، لأنه كان مجرد معبر عن حال انحلال ويأس وتشاؤم تساور نفوس الناس في هذه الايام. ولو انه تجنب هذه الالوان البراقة من الدعاية الزائفة التي يلذ له الالتجاء اليها حتى انها أضرت به بقدر ما أفاد منها، لكان جديراً بأن ينظر اليه بطريقة اكثر جداً وأحرى بأزجاء الاعجاب الخالص.

وأدب سارتر أدب وجودي مسرحي قصصي، فيه تجديد ظاهر في كلتا ناحيتي الأثر الأدبي: اعني في الوسائل الخاصة بالصناعة الفنية للعمل الأدبي، وفي الموضوعات التي يعالجها هذا العمل.

فمن حيث الصناعة الفنية نرى التجديد في جانبين: التعبير والنسيج الأدبي. فاللغة مستمدة من التعبير الحي في لغة التخاطب بكل ما في هذه اللغة من نقائص وعوامل حياة. والفارق بينه وبين اصحاب النزعة الطبيعية في هذا الباب هو أنه لم يقصد من وراء هذا ما قصده اولئك: اعني التصوير الشمسي للواقع، إنما اراد ان يهب الأسلوب طابع الانفعالية العاطفية حتى يكون مشبوباً تشيع فيه حرارة العواطف الملتهبة، بدلاً من التصورات الباردة المجردة التي كان يلجأ اليها اصحاب النزعة الكلاسيكية. فان العاطفة بمقولاتها هي التي تسود التحليل الوجودي لطبيعة الحياة، فكان لزاماً اذاً ان يجيء التعبير عامراً بكل الشحنات العاطفية المحمل بها في لغة التعبير الحي. والشيء الذي قد يأخذه الناس عليه في هذا الباب انه كثيراً ما يستخدم عبارات يتأذى لها العرف العام او الضمير الاخلاقي: ولغة سارتر مليئة فعلاً بطائفة هائلة من هذه الالفاظ والعبارات، التي يبالغ ويفرط فيها مراراً عدة من باب إثارة الخواطر اتباعاً لميله الى الدعاية البراقة، بيد ان الامر ليس على هذا النحو من البساطة بحيث يكفي ان ندمغه بامثال هذه الاحكام الفجة، وانما يصدر في هذا فعلاً — الى حد كبير — عن الغاية من التعبير في المذهب الفني الوجودي، وهو ان يشرح الواقع الحي بكل ما فيه من ألوان القبح والتنفير،

لان في هذا نفوذاً اعمق الى باطن الحقيقة الواقعية كما نعرفها في الفلسفة الوجودية ، وشأنه في هذا شأن بودلير الذي اتهم في بادي. أمره بما يتهم به اليوم بول سارتر من تحدي الذوق الاخلاقي العام لمجرد الاثارة والتعلق بالتناقض الوهمي والمفارقات الصارخة ، بيد اننا صرنا نعترف بما كان لبودلير في هذا من عمل حاسم ممتاز خليق بكل اكبار، ولا نحسبنا مغالين اذا توقعنا منذ اليوم ان يكون هذا هو الشأن كذلك مع أدب سارتر في المستقبل المتفاوت في البعد.

أما من حيث النسيج الزمني ، اعني التسلسل في السرد الزماني وتتابع الأحداث ، وهو عصب القصة ، فقد امتاز أدب القصة عند سارتر بأن الزمن فيه معية وتواقت ، فبدلاً من ان يجري السرد Récit على توال زمني يسير من لحظة فالتالية لها وهكذا ، في خط مستقيم أو منحن كيفما كان ، نرى عند سارتر ان ثمة معيّة simultanéité اعني ان الحوادث تقع معاً في وقت واحد في أماكن متعددة ، دون ان يحفل بالانتقال من الواحد الى الآخر على نحو منطقي ظاهر ، وهذه المعية اذن تجمع بين المعية الحقيقية simultanéité اي وقوع الحوادث في آن واحد ومكان واحد تقريباً ، وبين التواقت synchronisme ، اي وقوع الحوادث في وقت واحد في أمكنة عدة ، ان جاز لنا القول بهذه التفرقة . فنراه مثلاً في القسم الاول من قصة « سبل الحرية » Chemins de la liberté وهو الذي عنوانه « سن الحلم » L'Age de la raison يتحدث في وقت واحد عن « تشمبرلن كان راقداً ، وهتلر يغط في النوم ، والكابيل يضع السلم على السيارة ، ويرفع الحقيبة الى كتفه ويبدأ الصعود دون ارتكاز الى الدرجات ، وايفتش كان نائماً ، ودانيل يخرج قدميه من الفراش ، وناقوس يصاصل بسرعة في رأسه ، وبيير يتأمل صفحة قدمي الكابيل المورّدة السوداء ، ويفكر : انها حقيبة مو Maud بيد ان (مو) لم تكن هناك ، لانها سترحل بعد قليل بصحبة دوست Doucette وفرانس France وروبي Ruby في عربة شيخ مفرط الثراء كان عشيقاً لروبي ، وفي باريس ونانت وماكون كان رجال يضعون اعلانات بيضاء على الجدران » . . . فأي اختلاط هائل في الازمنة والأمكنة يقدمه لنا هذا النص الغريب !

وسارتر في هذا الميل الى المعية والتواقت في السرد الزمني للاحداث لم يكن أول من سار في هذا التيار . فكما قال هو في هذا الصدد : « لقد أردت في آن واحد ان اتجنب الحديث عن جمهور او عن امة وكأن الواحد منها شخص واحد ، فأنسب اليه أذواقاً ورغبات وتصورات ، مثل ما فعل زولا في « جرمنال » Germinal وان أرد هذا كله الى مجموع العناصر التي يتكون منها وحاولت ان أفيد من الابحاث الفنية التي قام بها بعض القصصيين من ذوي النزعة الى المعية الزمنية (في سرد القصة) ، من امثال دوس باسوس Dos-Passos وفرجينيا ولف فاستأنفت المسألة من عند النقطة التي خلفوها لديها ، وبدأت جهدي في ايجاد شيء جديد في هذا السبيل . »

وفي هذا التجديد ثورة كبيرة على الصناعة الفنية القصصية التقليدية . فعمود القصة حتى اليوم كان يقوم على قاعدة السرد التاريخي المتصل . اما في هذا المذهب الادبي الوجودي فقد خرجوا على هذا العمود ، لأنه لا يتفق الا مع النظرة الفزيائية الى الزمان ، اي على انه مجرد اطار تجري في داخله الاحداث ، اما المذهب الوجودي فيرى الوجود متزمناً بالزمان بحيث لا يعنينا الترتيب الساعاتي في تقويم التأثير الزماني ، بقدر ما يعنينا التحقق الزمني للاحداث في اللحظات المليئة بالزمانية ، وبهذا اتخذ الزمان معنى اعمق ، ولهذا كذلك اثره الهائل في تكوين نسيج القصة عامة ، سيقلب التصور التقليدي للعمل الفني في القصة رأساً على عقب ، كما هو واضح خصوصاً في قصص مدام سيمون دى بوفوار .

ولعل في هذا الاشارة « كافية الى ما عسى ان يكون للنزعة الوجودية من أثر في الصناعة الفنية للعمل الأدبي . فلننص الى الناحية الاخرى ، اعني الموضوعات المعالجة ، والتجديد هنا شامل لا نستطيع بيانه في هذه العجالة ، فنجتزيء بالاشارة الى اتخاذه موضوعات التحليل الوجودي المعروفة من « قلق » و« ملال » و« وفردانية » و« توحد » « وخطيئة » و« سقوط » في العالم الانساني ، « وجحيم الناس » و« تأثير السوى والاغيار » في فقدان الذاتية ، والمبادىء الرئيسية التي يقوم عليها تحليلهم لهذه الأحوال هو رد الانسان الى نفسه وذاته وحدها ، وما في الوجود من « مطاردة كل ضمير لموت الآخر » على حد تعبير هيجل ، ومن هنا كانت عنايته بالاحوال الشاذة وغير الطبيعية بوصفها اكثر دلالة على حقيقة الكائن في حالة سقوطه في الآنية . ثم هو يشيد خصوصاً بالحرية المطلقة لانها الشرط الاول لتحقيق امكانيات الانسان ، وبالتالي لبلوغه حالة الذاتية المطلقة التي لا قوام لها الا بذاتها من ذاتها ، وبهذا يتحقق للانسان بتحقيقه لذاتياته الانسانية مرتبة الالوهة الجديدة التي يحلم سارتر ببلوغها بطريق انساني ، انساني جداً .

القاهرة

عبد الرحمن بدوي



☆

سلوا النور ، هل بثّ عن أمها   وعنها حديثاً ، رواه القمر ؟ .

***

رأتها تهشّ له ضاحكاً   فجاءت تزف اليّ الخبر

وتهتف بي : من رأى كابنتي ؟   بكاء على ضحك مستتر

حوى ثغرها – ما ترى – درتين   وفي وجنتيها تضيء الأخر !

***

وأقبلت أنظر في المهد « هند »   ومن دونه أمها تنتظر

– فما هزها من معاني الخلود   كبرعمها بالهوى يثّغر

تبغّم من طرب كالغزال   وكالطير في خفة ما تقر

كأن يديها – وما همتا   بشيء – تحوشان بعض الاكر

او ان على قدميها يداً   تدغدغ ، فهي تزيح الأثر

وتضحك ... يا من أحس الورود   على ثغرها هامسات بسر ...

وما جاوز الضحك همساً ، بلى   صداه يرنُّ كجسّ الوتر

وتبكي ... فأشبهها بالزهور   اذا المزن خضلها بالدرر

وفي مقلتيها تخال السماء   بآيات أنجمها تزدهر

***

فما غمرت حبنا نشوة   على الحسن ، تحت شعاع القمر

كجلوة « هند » وقد أقبلت   علينا ، تصعد فينا النظر

فتطفو على ثغرها بسمة   نود معاً لثمها ، لو قدر

وكم بذرت أمها قبلة   فملت بفيّ لقطف الثمر

***

ملاكي ! حوتك يدا جنتي   وبينكما انا أحظى البشر !

البحرين   ابرهيم العريّض

حلم عبد

☆

للشاعر لونك فيلو

☆

اضطجع قرب اكوام الرز المبعثرة
وقد انضمت يده على منجله ،
عاريَ الصدر ، ورأسه بشعره المجعد
متوار في التراب .
انه يحلم في ظل هذه الغفوة
بموطنه الأول . . .

***

فهو يشهد في حلمه الجميل منظر
النيجر النهر العظيم ينساب خلال أرض الوطن
وفي ذلك السهل من تحت نخيله
وجد نفسه مالكاً نفسه . . .
أرهف حسه فسمع وقع سير القوافل
المنحدرة من ذلك المسلك الجبلي

***

وهو يحلم بملكته ذات العينين السوداوين
منتصبة بين أطفالها
وقد احتضنوا عنقه وأشبعوه تقبيلا
ممسكين اياه بأكفهم الصغيرة
ها ! دمعة تنحدر من جفن النائم
وتروح مختفية في التراب.

***

وهو يحلم بأنه يمتط فرساً هائجاً
على ضفة نهر النيجر
بلجام ذي سلاسل ذهبية
توقع انغاماً شجية ،
وفي وثبة كان يحس بغمد حسامه
حين يصطفق على بطن فرسه . . .

***

وترفرف طيور وردية باجنحتها الهفهافة
وكأنها رايات تبدو مخضبة بالدماء
لبث يرقب حومانها طول النهار
فوق السهول وبين اشجارها الكثيفة
تبعها حتى بدت له سطوح اكواخ قريته
وحتى أطل على البحر من شاطئها

***

وفي الليل كان يسمع زئير الاسود
ويتبين صراخ الضباع
وأفراس البحر من بين الادغال
قرب بعض الينابيع الرقراقة
فتخيل كل الاصوات طبولاً صاخبة
في ظل ذلك الحلم الجميل

***

هذه الغابات بألحانها المختلفة
تهتف عالياً هتاف الحرية
ولقد دوّى الهتاف شديداً
وبصوت مرعب ومشبع بالحرية
فأحس العبد نشوة وارتسمت بسمة على محياه
وأفعم بتلك السعادة القصوى . . .

***

لم يشعر بسوط سائق العربة التي
يسحبها بين كتفيه
ولم يشعر بشمس النهار المحرقة ،
فمد لفظ انفاسه الاخيرة في ذلك
المضجع العاري
ولبثت جثته مسجاة حرة
دون ان يثقلها القيد . .

بغداد صابر عبد المجيد

الصورة التامة

بقلم صلاح الاسير

☆

كان الليل يميل مع الهزيع الاخير في طريقه الى لقاء الصبح ، وكانت الريح الصرصر تحرك اغصان الاشجار البواسق في الحقل المجاور ، وكان صاحبي قلقاً بادي القلق ، يتصبب العرق على جبهته الواسعة على الرغم من هذا الجو البارد ، وقد انقضى الليل الا اقله ولم تغمض له عين ، فهو دائم التحديق في اطار يحتوي خطوط وجه بارع الجمال . صورة لم تتم ، وهو ما يزال متردداً وجلاً لا يجد سبيله الى اتمامها ، ويضع بين الحين والحين رأسه بين كفيه لينتقل الى رحلة بعيدة ، تصل به الى ذلك اليوم الذي عرفها فيه منذ اعوام وهي في طريقها الى الحقل تقطف الاقحوان والشقيق ، ويلهو النسيم يومئذ بشعرها الكستناوي الفاتن ، وتتمايل خصله لتحجب عينين او واحتين خضراوين ، كل ذلك والطفلة تلهو وتثب دون ان تحس خفق قلب الفتى الحائر الذي كان في تلك الساعة يتملى اجمل وجه اكتحلت به عيناه ، ومنذ ذلك اليوم انقلب صاحبي شخصاً آخر ، شخصاً مفتوناً همه ان ينطلق مع الفجر الى لقاء « لمياء » فيبتسم لها ويسعده ان ترد اليه تحية الصباح ، ليعود بعد ذلك الى منزله الريفي قرير النفس وقد احس الدنيا كلها اقبلت عليه ، وينقضي عامان على ذلك اليوم ليصبح صاحبي مولعاً بالالوان يجلس الى قطعة من القماش ميتة يصب فيها الحياة مع الالوان والظلال ، وكان صراح فنه « لمياء » والحقل المجاور وازهار الاقحوان والشقيق ، والاشجار البواسق ، وعين الماء ، ومنزل لمياء ذا السقف القرميدي الاحمر والنوافذ الضيقة التي لا تغلق ابداً في الصيف والشتاء . اما لمياء ، وهي في عمر البدر ، فما كانت تعلم من امر صاحبي شيئاً ، وما كانت تحس خفقان قلب الفتى المتيم ، تنطلق في الصباح الى الحقل ، وتذهب غب ذلك الى مدرسة القرية ، وصاحبي يبارك لها النقلة من صباح الى صباح ويصورها في كل فصل صورة جديدة ، الى ان استوقفها يوماً في اصيل قروي فوجمت ووجم ... وكاد يقول لها شيئاً ... ولكنه فجأة قرر ان لا يقول شيئاً ... فاضطربت واضطرب ... وانصرف وانصرفت ... وما كادت تبتعد عنه ، حتى وجد نفسه مرغماً على الالتفات نحوها ليواكب بعينيه وقلبه موكب الحب الذي ينأى وينأى ليختفي ما وراء الغابة في منزل لمياء المتواضع !...

في ذلك اليوم شمر صاحبي عن ساعديه ليصوّر لوحة اسمها «قلق» ... ولم ينم قبل رسم خطوط اللوحة الكبرى .. ضباب رمادي ما وراءه وجهان في مهب عاصفة مجنونة ، وحوالي الضباب حمرة باهتة وحول الحمرة سواد داكن ... لوحة لن يحلها امل ... ولن يستريح عليها رجاء .. وجهان كل واحد منهما له وجهة ... وجهة قاتمة ... ويطلع الصبح لينطلق صاحبي كالعهد به الى الحقل لرؤية لمياء ... وكان الحقل فراغاً كله فلقد خلا لاول مرة من وقع خطى «لمياء» ومن زقزقة صوتها الماتع ، ويظل صاحبي حتى الظهيرة حائراً ملتاعاً ... ما الذي جعلها لا تأتي اليوم ... واليوم بالذات بعد فراق الامس ... واخذت تتجاذبه الهواجس ، وتتنابه الهموم ، واخذ يقترب من منزلها بخطى وئيدة ،

لعله يستطلع ما يطمئنه ، ويقترب من حديقة منزلها فيراها تنتقل من خميلة الى خميلة ، فما كادت تراه حتى اسرعت الى المنزل تختبىء، وكأن وحشاً اسطوريا فاجأها فهرعت في هالة من الرعب . . . ويعود صاحبي يفكر في ما انتهى اليه امرها . . انها لم تذهب الى الحقل لكي لا يقع بصرها عليه ، وما كادت تراه حتى هربت منه وكأنها تهرب من مرض فاجع . . . انها تكرهه ما في ذلك ريب . . . واذا لم يكن حالها كذلك . . . فما هو اذن ؟ . . . وما يكاد يطأ وصيد باب منزله حتى تعروه حمى عنيفة ، حتى لتكاد تنوء به ساقاه ، فما يكاد يقترب من كرسي حتى يتهالك عليه مرارة واعياء ، ويغرق في نوم عميق مؤلم ليرى فيما يرى النائم غابة القرية ، وقد تعرت اغصانها من الورق الاخضر وتواثبت غصونها السوداء ، وليرى الى الحقل كيف استحال الى هشيم ، ويستفيق من غفوته على الحقيقة الراعبة . . انها تكرهه . . . تحتقره . . . ثم يغيب في اعماق غفوة ثانية . .

وما كادت لمياء تتوارى عن ناظريه قبل ان يعود ، حتى افاقت لاول مرة لتفسر معنى نظرات صاحبي اليها ، ذلك انها تعمدت ان لا تخرج الى الحقل لكي لا تنزل بها نظرة جديدة ، ويطغى على تفكيرها شيء . لم تستطع له تفسيراً ، الا ان عاطفة البغض قد ملأت نفسها وغمرت قلبها لهذا الكائن الذي استوقفها امس لتقول لها عيناه حكاية مبهمة عجيبة ساعة عقدت لسانه عن كل كلمة ، فهي لم تستشعر قبل تلك الهنيهة الخوف من شيء . . ولكنها اصبحت تخاف . . . تخاف الحقل . . . والغابة . . ومنزله هو بالذات . . . وساعة نزوله الى الحقل ، واخذت تهيم في اودية الظنون فتنتقل من ظلمة الى ظلمة ، وكانت تحس غربته في نفسها تجعلها لا تحفل بما كانت تحفل به امس وقبل امس ، وتشهد جدران غرفتها انها لم تنم ساعة واحدة من ليلها ، وساعة اقبل عليها اترابها يسألنها مرافقتهن الى الحقل اعتذرت بالتعب والشكوى من حر الشمس ، وساعة انسلخن عنها احست لمياء ماضياً كله ينسلخ عنها في امتناعها لاول مرة عن نزهتها اليومية .

ولقد رأت امها لمياء في عيني ابنتها الفاتنة ما اذهلها ! . . لقد ذهب ما بهما من بريق ، وعلا جبينها شحوب القلق ، ولم تعد تقفز قفزاً كما كانت بالامس تفعل ، بل تسير متثاقلة بطيئة كأن على كتفيها حملاً مرهقاً ، فاقبلت على ابنتها تطوقها بالضمة الحانية واللهفة الراجية ، بينا اخذت لمياء ترتجف وتطبق الاجفان خوف رؤيا تروح امامها وتجيء ، وبعد دقائق فتحت عينيها لتقول لامها انها لن تذهب الى الحقل ابداً . . .

اخذت الام تخفف من اضطراب لمياء وتسألها ان تقص عليها ما يخيفها من الحقل ، فترددت لمياء واستنجدت بالخيال لتقول ان الحقل اصبح مسرحاً لعفريت اسود ينتصب كالمارد فاذا نظرت اليه كاد يقترب منها ليخنقها بيديه القويتين ، فاشتد حزن الام ، وقالت لنفسها ! مساً ذهب بعقل لمياء ! . . . فاحاطتها بذراعيها من جديد وهي تتمتم بكلام الله لتعود السكينة الى الطفلة المتعبة . وذهبت بعد ذلك الى رجل يضع التمائم والتعاويذ تسأله ان يضع لابنتها « حجابا » يقيها رؤية الشياطين . . .

اما صاحبي ، فما كاد يستعيد حوض قواه ، حتى قام لتوه واخذ يمزق اللوحة بعد اللوحة ، ثم اشعل عود ثقاب ، وجلس يحدق في عامين يحترقان في زاوية ضيقة ، كان سعيداً بهذا المنظر . . . وماذا عليه . . . لقد احترقت لمياء في هذه اللوحات التي غدت رماداً ذا رائحة لا تعافها نفسه ، رائحة الالوان ! . .

ثم شمر عن ساعديه ، وقد دب فيه نشاط مفاجىء ، وجلس الى اطار يحتوي قطعة من القماش ، وامسك بيده دائرة الالوان وبيده الثانية الريشة التي تصب الحياة في قطعة القماش الميتة ، ونظر الى نافذته فتراءت له لمياء في الحقل المجاور فاخذ يضع اللون الى جانب اللون ، وينأى بالظل عن الظل ويسوي بين الخط والخط ، وبينما كان بين الهنيهة والهنيهة يلقي بصره الى الحقل ليستلهم ما ينبغي لاكتمال الصورة ، ابصر بلمياء . . . هي نفسها تقترب وتقترب لتقف عند النافذة ولتمسك قضبان النافذة بيديها العاجيتين . . . اما هو فظل همه ان تتم الصورة ، وكأن لمياء ادركت ماذا به فجمدت في مكانها . . . كان منظرها على اروع سحر واغوى فتنة ، وكما يورق الغصن في البواكير . . . خفقت الالوان بالحياة ، فكانت الصورة التامة . . . الصورة المثلى . . .

و حمل صاحبي الصورة التامة وانطلق من المنزل صوب الحقل ، يحمل بيسراه طرفته الخالدة « الصورة التامة » ويمسك بيمناه يد لمياء طرفته المبدعة . . . وادرك الثلاثة موعداً للسعادة جديداً . . . ان لمياء لم تعد تخاف ! . .

صلاح الاسير

من اغاريد الحب

☆

للشاعرة الاميركية ، سارة تيسديل
عن ديوانها اغاريد الحب

ترجمة رزوق فرج رزوق

البصرة

☆

يا طفل ، يا طفل

***

يا طفل ، يا طفل أحب ما استطعت
ولا تخش أن يكون لك صوت
الرجل وعيناه وروحه ،
لا تخش ، وان تحطم قلبك —
فمن الجرح سينبثق فرح جديد ،
أحب بفخر ومرح حباً كاملا
سواء أكان الحب نعيماً أم جحيماً .

***

يا طفل ، ياطفل احب ما استطعت ،
فالحياة قصيرة ، مثل يوم سعيد ،
ولا تخش ما تحس به —
فبالحب وحده تمسي الحيــاة حقة ،
أحب . . : فالخطايا المميتة سبع
وبالحب وحده ستدخل السماء .

عيوب

***

لقد أقبلوا لينبئوني عن عيوبك ،
وأخذوا يعدونها أحاد أحاد ،
فضحكت منهم عالياً . .
لانني علمت بها كلها ، من قبل ،
لقد كانوا عمياً ، اذ لم يروا
ان عيوبك زادتني هياماً بك !

سأحيا في غرامك

***

سـأحيا في غرامك . . .
مثلما تحيا أعشاب البحر في البحر ،
فتحملها كل موجة عابرة ،
وتجذبها كل موجة راجعة ،
سأخلي روحي من الأحلام التي ملأتها
وسأخفق مع قلبك ما خفق
واتبع روحك حين تقودني . .

رجال آخرون

***

حين أحدث رجالاً آخرين
أفكر بك دائماً ،
فكلماتك أدق من كلماتهم
وأرق أيضاً . .

***

وحين أرنو الى رجال آخرين
أتمنى أن يكون وجهك أمامي
بعينيه الرماديتين ، وبشرته السمراء
وشعره الاسود المنسدل .

***

وحين أفكر برجال آخرين
حالمة في وحدتي ، خلال النهار
ينطلق تفكيري بك ، مثل ريح عــاصفة
ويقصي كل الاحلام ، بعيداً . . .

☆

فرح

***

لأغنين للشجر
ولنجوم السماء ،
اني أحب . . . أنا محبوبة . . . انه لي!
الآن . . أخيراً ، استطيع ان أموت!

***

اني انتعل الريح واللهيب
ولي في قلبي نار وغناء . .
اني أستطيع أن أخطو على العشب والنجوم
الآن . . أخيراً ، أستطيع أن أعيش !

كبرياء الهوى الى خضوع

هجر ... كاذب

بقلم شكري فيصل



هذا طريقي الى البيت .. لم يبق بيني وبين ان اطأ هـذا الشارع الهـادي، الذي أقيم فيـه الا خطوات ، ثم انحرف ذات اليمين فاذا هذا النعيم المقيم الذي يلف الدنيا من حولي ، واذا أنا على قيد اقدام من السلم الذي يصعد بي الى برجي المنعزل .. ولكني مع ذلك ضجر بهذه الخطوات .. برم بها .. أقاربها وانفر منها ، وادانيا وابتعد عنهـا .. وبودي لو طال المدى بيني وبين المنزل ، فما بي من رغبة في هذه العزلة القاسية .

وبدأت أقارب الخطر .. من عادتي ان امضي اذا مضيت مسرعا .. ولكني أتلفت الساعة من حولي في كل اتجاه، وأدير طرفي في كل سبيل ، واحملق في كل شيء ، واقفو بنظراتي كل انسـان .. امـا مـاذا أرقب ، وأي شيء أرجو فذلـك من هدي القلب لا من هدي الخطى العمياء .. لكأني انتظر من ينحرف بي عن هذه الحياة .. من يأخذ بيدي في غير الطريق الى البيت . فما في البيت الا اشباح الذكرى ، واصداء النغم ، واحلام الحب النبيل .. ولقد الحت عليّ الذكرى حتى عدت شبحاً ، وبراني النغم حتى عدت صدى ، وهربت من الدنيا على جناحي الحب فاذا انا في حلم .. فما لي وللاشبا ح والاحلام ، والاصدا ، والانغام ؟! .

***

ووقفت حيث كان من عـادتي ان انحرف ذات اليمين .. اما اليوم فلا .. لا أيهـا الطريق .. الذي نثرت عليه الدموع حين كنت أبكي .. ونثرت في اجوائه القهقهـة حين كنت أضحك .. ومضيت فيه « حينا » رقيقاً كالنسيم ، خفيفاً كالظل ، نشوان كعبير الورد اسكره شذاه ، ومضيت فيه حينا آخر بطيء الخطى ، جـامد الظل ، بارد الروح .. لا ايها الطريق .. لن تأسرني الليلة ، فقد غلبك علي الضجر .. دعني فقد خدعتني .. وتخل عني فقد خنتني .. وقيدت اقدامي على حين نشأت كالنبت البري ، لا يطيق القيد ، ولا يعرف الحد .

وانفتلت .. في حركة جمعت فيها كل جرأتي .. وادرت ظهري الى الطريق الذي حنا عليّ بظلاله في وهج الظهيرة .. والقى عليّ انداءه في غبش الفجر ، وفرش سبيلي بالياسمين الابيض النقي .. وضفر لي من هذه الشجيرات التي تقوم على حفافيه اكليلا من الخضرة الزاهية .. الطريق الذي صبّ في عيني النور حين صبّ في قلبي الحب .. واثار في الحياة حين اثار في الميل .

***

وانطلقت لا ادرى اين .. أين ايها الفتى الذي عاش لا يعرف من الدنيا الا المدرسة والبيت والمكتبة ؟! اين أيها الانسان الذي ظل وردة منطوية حتى بدأت يد الحب تفتحها عن ورقها هذا الفاتن .. وعبيرها هذا الساحر .. وأناشيدها هذه الملهمة ... اين أيها الانسان فمالك بعد بالطريق من خبرة ، وليس لك فيهـا من دليل .. وما تعوّد الذين مضوا فيها ان يتركوا على جنباتها المعالم ، او يغرسوا في حفافيهـا الصوى .. لان الذين مضوا لا يعودون .. والذين يعودون لا يتكلمون . والذين يتكلمون لا يذكرون الا حلماً رفافاً حملهم على بساط سحريّ عجيب .

***

وتتالت عليّ هذه النداءات المحذرة من كل صوب .. لكأنما كانت تمسكني بيدين قاسيتين .. ولكني أفلت منها .. لن أعود الى البيت فقد سمع البيت ضراعتي ومناجاتي حتى حفظها ، وردد آهاتي وأناتي حتى ملها .. ورثى لي حتى بكى بمثل الذي أبكي .. حتى الجماد أحسّ هذا الفيض الذي يتدفق ،

والنور الذي يتألق، والثورة التي تعتلج . . فما بي من حاجة ان اسيء اليه . . دعني أنطوي على جرحي هذا الغائر . . دعني أضمده أيدي . . دعني أشرق وحدي بدمي . . فأنا شفق ان يسيطر الأسى حتى على الجماد . .

***

وهزت برأسي . . فعل الذي لايدري . . ومضيت . . ليس لي هدف، فقد خلّفت ورائي هدفي . . وما أنشد غاية فقد باعدت الايام بيني وبين الغاية التي أنشدها . . كانت قريبة فانتزعها جبار من جبابرة الشيطان . . وكانت متألقة فغشاها ضباب أدكن زعم انه يحفظ ألقها فأطفأه . . وكان هناك صوت أسمعه في أعماقي، فانقطع الصوت . . ولم يبقَ الا الصدى يتردد في قفر سحيق . . فأين أنا من هذه الغاية . . دعني ورقة ذابلة تضربها الريح في كل جهة، وتلقي بها في كل سبيل . . وتفتتها لتذروها . . على ذرة منها . . ذرة واحدة . . تمضي بعيداً . . حتى تعيش في جنة الحبيب المتوردة ذرة هامدة ! . .

***

وانطلقت انساناً من غير عينين فقد ابيضت عيناه من الحزن . . ومن غير دليل فقد كان يتأبى على الدليل . . ومن غير عون فقد كره من الناس كل عون . . حسبه هذه الجذوات التي تتقد في ضميره . . كالبرق . . بين لحظة ولحظة . ولا عليه أن يكون من روحه ذبالتها، ومن دمه زيتها . . لا عليه . . ولينطلق . . وأيسر ما يلقى في طريقه الشوك، وأدنى ما يحسه الالم . . . ان وردته التي يصوغ لها الاناشيد خيط من الحرير . . خيط ناعم كصفحة الخد، ووردي كزهرة الدراق، نير كالنجم، بريء كالطفولة، حالم حلم الفرح، باسم بسمة السعادة . . انه خيط من الحرير في إطار من الشوك . . ولقد نشأ يعرف الالم لانه صهره، والشوك فما اكثر ما قطفه، وما يدرك الأسى لانه ابتلاه، والدنيا فقد ألقت اليه باحزانها . . ولكنه اليوم يلقى لوناً آخر من الألم، وطعماً جديداً من الأسى، ووجهاً من الدنيا غير الوجه الذي عرفه . فليعتد هذا اللهب . . ليتجرع الغصص، وليذق المر، وليبت على لسع السم . . وليذكر انه قرأ، اذ قرأ مرة، أبيات النابغة يصف قلقه وضجره

فبتّ كأني ساورتني ضئيلة
من الرقش، في أنيابها السم ناقع

فعجب منها، ووقف عندها، وتساءل كيف يكون هذا القلق، فليعرف اذن كيف يكون ! . .

***

وما أدري اين ساقتني قدماي . . أعرف اني كنت اتحسس الطريق: تشقق قدميَّ الحجارة، وتلطمني الحواجز، وتقعد بي المشقات . . اعرف اني كنت امسح بيدي الدم من على جبهتي . . ولكني آثرت ذلك على ان أعود فأمسح بيديَّ دمع عيني . . اعرف اني كنت أضلّ كما ضلّ المجنون في البوادي . . ولكني آثرت ذلك على ان اضل في الذكر الأليفة التي تحرق قلبي . . كنت اعرف اني كنت اغيب في ضباب من الالم ولكني آثرت ذلك على ان اغيب في آلام الهوى . . كنت اهدر جسمي ولكني كنت احفظ علي بقية من الروح . . ترى لمن احفظ هذه الروح؟ ! . .

***

وطال بي الطواف، وهدني الاعياء، ومزق الشوك اطرافي . . ثم عدت . . عدت الى هذا الطريق الذي أدرت له ظهري، احسب اني قادر على ان أسلوه، وادركت اني كنت أحفظ له هذه البقية من الروح . . هذا الطريق الذي صب في عينيَّ النور اذ صب في قلبي الحب . . اني ادخرها له . . مهما يطل الزمن، وتتنكر الدنيا . . انها له مهما يضحك القدر ضحكاته الباهتة الصفراء . . انهـا من اجله هكذا ارادها الله لتبعث في ورده الحمرة، وتنشر في زهره العطر، وتفجّر في ينبوعه الماء . . انها صفاء ياسمينه، وخضرة شجره، والندى على مبسم الزهر فيه . . انهذه البقية من الروح لتجد هنا في هذه الطريق بقيتها . . فيا من يرد بعضاً على بعض . . يا من يصل نفساً بنفس . . يا من يرد على النجمة الكابية ألقها، ويرد عن النجم الساري حيرته . . يا من يرد الماء الى نبعته، والعرف الى زهرته والصبا الى شجرته . . يا من يرد بعضاً الى بعض، فما يملك بعض ان يحيا بعيداً عن بعض .

***

وعدت الى البيت . وقليت الطريق . وصعدت السلم، ودخلت هذا البرج العاجي . وثارت في وجهي ذكريات من كل صوب، واستقبلتني أصداء، وأحسست كل شيء يبتسم لي . . كأنما ينفرج عن بشارة رفافة . . واستلقيت أستعيد قصتي . . . واخضلت عيناي بالدمع . . ولكنه كان دمع الذي يرى انه قريب اثر البعد، وان بعد الغربة . . دمع الذي انتشت روحه اذ أحس ان الغد سيتفتح له عن أنباء حبة الطفل .

***

وانه في هذه النشوة ليعيش وعلى ترقب النبأ يصحو ويغفي، وينام ويستيقظ . .

القاهرة — شكري فيصل



بقلم احمد عوبدات

كان قد انهى دروسه الثانوية ولم يتخط العشرين من عمره، فنال البكالوريا بقسميها وكان به نهم لارتشاف العلم والتحصيل. فسافر الى فرنسا والتحق بكلية الطب، وله من جلده ونباهته ما لفت انظار اساتذته وشجع اهله في السهر على تعليمه وايفاده الى بلاد الغربة. الا ان مكوثه لم يطل هناك، فالشيء الذي علمته انه لملم نفسه وحزم كتبه واوراقه وقفل راجعاً الى بلده على اثر كتاب نعى اليه اخوته وفاة والدته. كان شاباً في عنفوان صباه وابن عائلة عريقة ... لم يحزن لفقد ابيه فقد ابصر الدنيا ولم ينعم من عطفه بكثير او قليل. كان يعرف امه واخوة له هو اصغرهم، وبفقدها عرف الحزن وعصرته اللهفة على هذا المخلوق الذي رعاه فتياً حتى اذا كان في باريس توارى عنه الى الابد.

كان حبه لامه شيئاً يفوق الحس. وقد حفظ لها في صدره ما لم يحفظه لانسان سواها، ألم ينقل اليه ان اسمه تردد على شفتيها وهي تلفظ النفس الاخير! فلا عجب اذا حزن اشد الحزن على فقدها وتردد على قبرها مرات كثيرة يبكي حنانها وينسرح الدمع على خديه.

وتوالت زياراته لقبرها يشكو اليها حظه العاثر مما يلاقيه من وحشة ووحدة، وكان صادقاً في شكواه اذ تنكر له اخوته واصبح وحيداً تكسرت آماله البكر على صخرة من الشك والحيرة فوقف متردداً تعصف به الميول ويشده الواقع اليه بعنف وقسوة. أيتابع دراسة الطب وهو الذي امضى في سبيله جهداً ليس بالقصير! وكيف له ذلك وقد انقطع عنه العون وشح المورد الذي يستعين به على التحصيل! وبات في نصف الطريق، فما تزال امامه مرحلة طويلة فكيف يستطيع ان يأمن العوز الذي يطالعه في كل لحظة ويضمن هذه السنين ...

ولبث على هذا الحال عدة شهور، فانقشع لعينيه جانب كالح من الحياة وهو الذي لم يعتد هذا اللون القاتم. واستولت على نفسه غيوم المأساة لقد سدت الطريق وكان مستقبله يبدو معبّد الجوانب. وبينما هو في غمرة من هذه الخواطر تتقاذفه وتطارده اذ لمح عن بعد ضوءً استشف من ورائه بعض العزاء لنفسه الحسيرة فاشرأب الى ذلك المنفذ وزاد تعلقه به. انه يكاد يختنق من هذه الاطياف المرعبة تتفاعل بها نفسه، وتكاد الايام تستنفد ما تحمله جيبه من بضع مئات من الليرات هي كل ثروته.

ونجا من هبوب العاصفة فغدا موظفاً في احدى الدوائر، يجر نفسه جراً في عمل بغيض الى نفسه يردده مع كل شروق شمس.

عرفته زميلا في دائرتي، وتوطدت بيني وبينه المعرفة وراح يخصني دون الآخرين بشيء من الالفة والمودة ويفضي الي من ذاته ما يلقي ضوءً على هذا التفاعل العنيف الذي تجيش به نفسه. ورغبت اليه في شوق علني اسبر هذه النفس الجريح وانفذ الى طياتها.

كنت اجتمع به خارج ساعات العمل فنرود اماكن عديدة. واصبح يجد في رفقتي عزاء وسلوى فاذا مر يوم لم نتلاق فيه يقصدني الى غرفتي ويرمي نفسه على الكنبة بجواري وكأنه نسي اتعابه وطلق وراءه كل شيء. ولم يخامرني الشك لحظة في انه ما يزال يحيا في ذاته، وما يزال يستعرض لنفسه هذه الصور الماضية القاتمة التي تعاقبت على مسرح حياته. في ذاته ثورة ما يزال وميضها امام عينيه، فهو حاد الطبع ولعل اكره شيء اليه ان ينزلق بين جمع من اصحابه. انه لا يستطيع ان يفتح نفسه الى احد فهو يعتزل الناس، وله دنياه الخاصة.

وانطوى على ذاته ينسج خيوطاً غريبة، فهو يرى ما لا يراه غيره ويؤمن بما يتخذه غيره ساعة من طيش. فقد ايمانه بالناس وعرف طويتهم، فالحقد والغيرة والطمع والانانية كلها صفات تتأجج بها نفوسهم ولعله على حق في منطقه. انه لا يعتقد بوجود الحق والعدل والانسانية، انها هراء ليس لها وجود في حياته. الحياة بؤرة فوضى لا عدل فيها ولا قيم. وكان يحاول جهده ان ينفلت من

وأساته ليرمي نفسه في احضان المادة .

قد يكون معتقده هذا هو الذي جعله ينصرف الى سيرته الجديدة من اللهو والعبث ، فهو يرى الحياة من وراء منظاره . ساعدمفتول واكل جيد وجسم جميل . وما بقي دفنه في اعماق فكره .

لقد اثار فضولي تكتمه الشديد ، وكأنك تنقل نفسه حين تأتي على ذكر اهله . فهو لا يبغض اخوته ولكنه لا يحبهم . ورحت في نفسي اعجب واهمس : اي سر يكمن في نفس هذا الشاب وماذا عساه يكون لو وقفت على مفتاح سره . وتهيبته فما احببت ان احرجه . . . الا ان شيئاً لم يقو على مغالبته : تلك الشعيرات البيضاء تنساب مضطجعة عند عذاره وفي اعلى راسه وتلك التجاعيد في جبهته وهاتان العينان يلمعان من وراء نظاراته البيضاء . ووجنتاه وقد غارتا وكأنما استنفذ اللهو عصارتها . سألته ذات مرة :

– لم لا تتزوج ؟ فاجابني والدهشة في عينيه :

– اتزوج ! ! وتمتم في سره : لا ، لا اريد ان اضيف مشكلة جديدة ، كفاني ما لقيت ! . . .

ونظر الي وهو يقول بصوت واضح النبرات :

– ان من كان معي على مقعد الدراسة اصبح جدا !

وانصت اليه وكأنني استحثه للافضاء بمكنونات صدره ، وفجأة طلع الدم الى رأسه . هذا الوضع الذي استقر به ، كان يريد من الحياة اكثر من هذا ، لقد غلبته الحياة فهو والحال من الآن يجتر حياته يوماً فيوما في عمل آلي ثقيل وهو الذي كان يأمل ان ينطلق في حياة من السمو والرفعة .

وتوالت اجتماعاتنا واصبح يشدنا نوع من الصداقة او على الاصح نوع من وحدة الشعور . واتسع مجال الحديث فآراء ونظريات نرسلها معاً . كان يردد كثيراً :

اصبحت اؤمن بالمادة ، المادة وحدها هي وحدها اساس القيم .

اني ما ازال اذكر يوم كان معنا رفيق ثالث واخذت اعيننا ترمق بالاعجاب والدهشة بناية ضخمة تكاد تنطح السحاب ، وتضاربت آراؤنا اذ ذاك حول بنائها وما تطلب من مال وجهد ، ورحنا نخمن المال بمئات الالوف عندئذ وقف صاحبي وهو ينظر الي واخذ يقول :

كان الافضل ان نقيسها الينا نحن الموظفين فنقول ان هذه البناية تساوي كذا حياة آدمية ما دام ايرادنا من الوظيفة طول الحياة يعد كذا من الليرات !

كان يود ان يلقي رأسه الى صدر حنون يبثه همومه وآلامه . وفي نفسه انفعالات جياشة واختلاجات متضاربة فآثر ان يدفنها في رأسه ويقيم على انقاضها هذه الحياة التي لا تعرف الهدوء والاستقرار فهو في وظيفته يعمل كأحسن ما يكون الموظف النشيط ، وفي حياته الخاصة لا تكاد تراه ينطوي على نفسه فهو يعمل ويخالق العمل . كان يريد ان يهرب من نفسه فهو يعمد الى تخير الطعام الجيد . وكان يؤذيه ان يستذكر الماضي فيهيم في الطرقات ولعله في آخر ايامه كان يحرص على ان لا ينفلت الى ذاته ، بل يحاول جهده ان يتخذ صديقاً في نزهة او يرافق شباباً في رحلة .

لعل همه الاكبر ان يمضي ساعة الى نفسه . ولكنه لا يطيق لان الذكرى ستبعث حية امام عينيه . ماضيه ، هذا الماضي الذي كان مقدراً له ان يكون غير ما هو الآن عليه وفي حالة ارقى .

وبدا لي تحول ظاهر في مجرى حياته فهو اليوم غيره بالامس ، ولعل حاضره كان نتيجة لهذا الماضي الدفين الذي اقام دونه هذا السياج ليفصل بين نوعين من الحياة . لقد كفاه ما عاش في ظل نفسه العابس ولم يلق الا حسرات تتصاعد من قلبه لهذا الحرمان الذي مني به في مطلع شبابه . وهذا ما آثر الانفلات منه الى حياة ثانية يهبها جسمه وحواسه . وكان متحمساً لما يعتنق من آراء ونظريات حتى انني لم اقف عند الاستحسان واستصواب افكاره بل اخذت اسايره واذهب معه الى حدود بعيدة .

بيد ان شيئاً كان يقف بيني وبينه : فهو رجل مادي وانا اشقى بروحانيتي . انه يحسب يومه وانا اعيش عبر الحاضر ان حياته قد هدأت بعض الشيء في قالب « الكونفورميسم » وانا يصيبني دوار خفيف من هذه الكونفورميسم كلما لاح طيفها . كان يقول ويردد :

– لا تستحق الحياة اكثر من هذا !

فكنت اجيبه في سري وعلامة الشك مرتسمة على محياي : من يدري ! ولم يدعني تلك الليلة اذهب في التفكير حداً بعيداً بل اخذني بذراعي وهو يشدني :

– الى أين !

– سوف نذهب معاً الى « النادي الرياضي » .

– اقرن معك ! واومأ برأسه قلت :

– ولكن . . . ولم يدعني اتمم كلامي .

– اديب طبعاً ، وليس للرياضة دخل في الادب ، ستقول هذا ولكن . الا تذهب معي الى ان المرأة تفضل العضلات القوية على مجلدات يشقى في خلقها الادباء !

قال ذلك وفي صوته لهجة من التحدي ، ثم اردف :

— اذا نظرت المرأة الى واحد منكم فلا تنامون الليل : هيام ونجوى وخيالات . وقد تكون عواطف صادقة كل الصدق ومعان جديدة كل الجدة في الوصف والتحليل ولكن المرأة حين ترى الاطراف المتهدلة والصدور المقوسة لا يسعها الا ان تنفر وفي نفسها شعور من الشفقة والرثاء .

وتأبط ذراعي من جديد وهو يغمزني بطرف عينه وكأنه ربح المعركة .

امل صديقي كان يقصد بذلك شيئاً لا يصلني به الا خيوط ضئيلة من الخيال وهمسات بعيدة من نجوى الحب . فليست المرأة وحدها تخلق قصة ، وليست كلمات الحب وحدها تجعل الحديث طليا شهيا . لعل صديقي فكر بهذا حين لمعت عيناه وافترت شفتاه عن ابتسامة . . . ولكنني لم اكن على استعداد لتقبل فكرته اذ خالجتني خواطر وذكريات مطمورة في ماضي . واستصوبت مع ذلك فكرة الرياضة امارسها لا لابدو فاتناً بنضارة الوجه امام المحبوب ولا لاترك وقاري واتزاني في حياة خفيفة مرحة شأن العاشق الماجن ، بل استصوبت فكرة التمارين لشيء غير هذا الذي يدعو اليه صاحبي ، ووضحت لدي الفكرة وأفقت الى نفسي وادركت هذه الاصابع الدقيقة التي تمسك القلم وهذا الظهر الذي حقه الحدب .

ودفعتني حاجة الى مزاولة الرياضة لا فنا من الفنون الجميلة التي يرغبها الهوة ولكن شرطاً من شروط الكاتب والاديب في هذا المحيط الشرقي . ان القلم الذي يحمل فكرة حق ويعالجها متوخيا امانة الوصف والتحليل قد يكون بحاجة الى زند قوي يدفع عنه العدوان ويكون بمأمن من النفوس المريضة . ولكن صاحبي لم يفهم شيئاً مما جال في نفسي الا انني رضخت لرغبته .

ولم تفتني اشارة منه الا وسجلتها . ولكن في هذا الرأس سر لا يجدي فيه الخيال وكأن صاحبي فهم ذلك عني فآل على حفظه ، من يدري فقد يكون في حفظه ما هو اضمن لقيمته، واي متعة ان يطلعك صاحبه على مأساته دون حرقة تأخذ بخناقه !

وطالت صحبتي له وكأنه اخفق في ان يستميلني اليه بآرائه ومعتقداته او كأنه اخذ يؤمن بعدم تقديري لها . والشقة بعيدة بيني وبينه فهو ينطلق في احضان المادة ويغيب لعله كالمحزون يتداوى بالخمر لينسى ما يحوطه من هموم واحزان . كذلك هو شأنه في تعلقه الحياة انه يستنفد عصارتها الى الدم فهو يرود المراقص ويتسلى برؤية الاجساد العارية ، وله شغف بالرياضة فهو يرقى الى جبال لبنان ايام الشتاء يتزحلق على الثلج ويكاد لا يفوته البحر يوماً من ايامه الباردة . فكان جسمه عنوان الصحة بلونه النحاسي وتناسقه البديع ووجه مشرباً بالحمرة ، وهو مع ذلك لا تفوته لذة ولا يقف امام رغبته حائل . كان يعلل ذلك بقوله :

— احب ما استطعت ان انسى ماضي . انني اعمل واتعب جسمي فاسهر خارج البيت ولا اعود الا بعد ان يأخذني العياء فأصل وانطرح على الفراش جسماً بلا روح . كان يساورني ارق يمض حين ادلف مبكراً الى فراشي اذ تتصور لي حقيقة نفسي وانا اسعى للهرب منها . وهذا الذي يجعلني اسرف في لذائذي ولهوي . اريد ان اقتل كل عاطفة في نفسي . . .

وبينا نحن نتبادل الاحاديث ونطوي الطرقات اذ طالعتنا «سينما اوبرا» باعلان الفيلم الذي تعرضه تلك الليلة .

— جرير جارسون !

هتف بها صاحبي ، وجرير جارسون من الممثلات التي يعجب بها صديقي اشد الاعجاب وله ولع بمشاهدتها على الشاشة في كل فيلم تعرضه دور بيروت . ولم تمض دقائق معدودة حتى كنا بين الحفل نأخذ مكاننا في القاعة .

جرير جارسون في «مسز باركنجتون» تقوم بدور خادم عند احد ذوي البيوتات الكبيرة . وفي اشاراتها وحركاتها ما يثير الاعجاب حقاً ، كأنها خلقت لتنجح في اي دور تمثله . ولكن اباها الكسيح عدو لدود لهذا البيت الذي تخدم فيه جرير وذو طبع عصبي حاد . وليس علي ان اقص ما جاءت به القصة سوى مشهد واحد بلغ تأثيره في نفس صاحبي ما لم يبلغه في شخص سواه .

كان لرب البيت الذي تعمل فيه جرير خادماً ، منجم كبير للفحم الحجري ، ولما قتل على اثر تظاهرة قام بها العمال ، نجم عن ذلك ، هذا المشهد الذي وقف فيه اولاده ومنهم جرير جارسون — زوجة الابن الكبير — وبدأ الخلاف حول المنجم : كيف يرثه اولاده؟ ووقع الخلاف فمنهم من فضل بيعه ومنهم من رأى غير ذلك وآخر لم يعجبه هذا ولا ذاك ، انه لم يفهم من هذا الاجتماع شيئاً غير حصته من الميراث . انه مدين ولعل موت ابيه كان ايذاناً بفرجه وسعادته .

وشخصت الابصار الى هذا المشهد المؤثر . في تلك اللحظة كانت دمعة تنبعث من مقلة صاحبي تبعتها حبات حارة فرأيته يجفف بمنديله ما تساقط على وجنتيه .

واعترتني رهبة. هذا الشاب الجديد يرجع انسانا آخر له شعور فتنبعث عاطفته من جديد وهو الذي طلق ماضيه، انه يستيقظ عليه الان. لم يعد عندي شك في انه وقف، وهو اصغر اخوته، مكتوف اليدين في مشهد كهذا الذي يراه على الشاشة. وكأنه ترك دروسه في فرنسا ليذرف الدمع على قبر امه التي لم تره، ويفقد ايمانه الروحي بالحياة.

واخذت الحوادث تنجلي امام عيني. واكبرت صاحبي وصرت كلما رأيته تسمرت عيناي عند هذه الشعيرات البيضاء، واروح متأملا هذه الجبهة احاول الدخول الى هذه القامة المحصنة بسياج من الكتمان. واحسبني اهتديت الى شيء من سرها وكتمت ما في نفسي ولم اصارحه بما قد يؤذي شعوره وتجاهلت ما الم به وهو يرى جوريه جارسون فيتنهد ويحبس في نفسه صرخة جريحة.

منذ ذلك اليوم وانا اتحاشى النظار اليه، كنت الحظه من بعيد بين حين وحين. هذا الرأس وما علاه من شيب وهذه الطلعة وما رسب في اعماقها من أحزان وحوادث مفجعة. لقد جرب الحياة وذاق من افاعيلها الوانا لم تكن في برنامج حياته اعترضته في نصف الطريق وكانت كفيلة بدفعه الى هذا الجو الغريب الحائر.

لست ادري، اكان ذلك عن قصد، ام انها يد القدر ارادت ان تنهي القصة على هذا الشكل المفجع، فقد انصرف من عمله ذات يوم عند الساعة الثانية وتوجه توا الى «سان جورج» كعادته. فهو يرود البحر كل يوم تقريبا وليس للجو عنده مهابة فهو ينزع ثيابه في الوقت الذي يتدثر غيره بثقيل الثياب، وينتصب في الفضاء عاريا الا من مايو البحر في الوقت الذي يحوم غيره حول الموقد، يمضي في البحر ساعة او بعض ساعة والريح تعصف هوجاء، وامواج البحر تهدر صاخبة وتتكسر على الصخور.

من يدري! أهو الموج الذي حفظ له الحقد فاستدرجه الى حيث جذبه التيار الى عرض البحر ام اليأس جعل صاحبي يستهين الصعوبات، ام سر تقصر عنه الافهام قذف به الى اعماق اليم!

عاش صديقي ومات: لم يترك لهذه الدنيا ما اعتاد ان يخلفه الآخرون.

وغشت عيني دمعة خرساء. فطويت «الالبوم» بعد ان اودعت صورته نظرة اخيرة وصوت عميق يردد في اذني:

« ان يبتلعه البحر فانه لأعجز من ان يحيط بسره ».

احمد عويدات

الفراشة الحائرة

☆

كقنديل ملون سابح في الرياض
كورقتين من زهرة اسكرها الربيع انطلقت نشوى هائجة
كنجمة تدانت الى الارض، وقد جذبتها انفاس الزهر
تطير هذه الفراشة بين توهج الورد، شاردة حالمة
أهي رسول مجاهد حملته الرسالة هائما لا يستقر ولا يهدأ
ام رسول من رسل الجمال، هائم يفتش عن الجمال
لم يكفه انه جميل، بل جد يبحث عن كل ما هو جميل
هل حققت الفرض، ووصلت الى ما ترومين
فشعاع الشمس ينتظرك، وعبير الزهر يناديك
ولكن مالك حيرى مضطربة، يزيدك الارتواء ظمأ،
والتجوال حنينا الى التجوال
العلك ادركت ان كأس الجمال يزداد شوق شاربها اليها
كلما امعن في الشرب
فري يا عروس الرياض، فلن يهدأ مضجعك بعد
فالجمال الهة داهية تستنزف قوتنا، وتمعن في اغرائنا
فاذا نحن صرعى ولما نبلغ غاية
لا تحاولي ان تهزلي منها، فهي في كل مكان
رفيقة مع هبات النسيم، ساحرة في فضة البدر
لامعة في حبات الندى، شذية في عطر الزهر
لها في النجوم عروس رفيعة، ولها في الارض هياكل كثيرة
الزهرة والمشتري خادمان لها، وكذا الاعشاب الخضراء
عند منعطف التل
انت بنفسك جزء منها، وخادم لها
فرفرفي واتبعي رحيق الزهر، وحرارة الشمس، وخضرة التل
فرفرفي مع الفجر وهو يلتهب عند الآفاق،
وفي الظهيرة عندما تشمل الشمس الكائنات
واذا ما جاء الاصيل الحزين، فرفري مع شذى الذكريات
فألم الذكرى في الاصيل المنهزم، هو كنار الهياكل المقدسة
وهل انت عندها الا كاهنة حسناء، تؤدي مراسم العبادة
في هيكل الذكرى الحزين

الناصرة — **نجوى قعوار**

انه شاعر

مرفوعة – الى شاعر الاقطار العربية خليل مطران بك

☆

انصت الروض حين هز الازاهر بلبل بذ شادياً كل طائر
يبعث اللحن شيقاً يأسر الروح ويطغي على النهى والخواطر
ويغني ملاحم الحب دنيا من جمال مهفهف ومشاعر
وقفت دونه الطيور حيارى ذاهلات ابصارها والبصائر
والعناقيد حوله شفها الوجد فسالت دماؤها دون عاصر
والسواقي تلتفت ، ونسيم الصبح ما زال كالمتيم حائر
يتهادى هنيهة ، ثم يعدو للروابي يزفهن البشائر
تارة يلثم الضفاف وطوراً يتعالى نحو النجوم الزواهر

***

قالت الوردة المليكة للازهار من ذا الذي يهز المنابر ؟
عبقري الرؤى ، نقي التعابير غزير البيان حلو النوادر
في عروقي يدب تغريده العذب دبيب النعاس في جفن ساهر
وبروحي غناؤه يبعث النشوة بشرى الى الاماني العواثر .
فاجابت زنابق الروض همساً ربما كان يا مليكة ساحر

***

سمع العندليب اغنية الشادي وهمس الشفاه بين الازاهر
فاعتلى الغصن صامتاً وعيون الزهر تتلو عليه نجوى الضمائر
من تراه يكون ؟ قالت له الوردة ، يا ايها الحبيب المسامر
شدوه مثل شدوك الحلو يشجي القلب ، لكنه رفيع المصادر
في اناشيده السلاسة والرقة والوجد ، والاماني السواحر
يتعالى بنا الى عالم الروح ، ودنيا السمو في روح قادر
فأجاب العندليب والروض يصغي انه يا حبيبة القلب شاعر

صيدا زهرة الحر

التأليف الكبير

ترجمة عن الايطالية : مصطفى آل عيال

ليسانسيه في الآداب

☆

الفصل الاول : علم وعقل

نامت الفؤاد في مكان غير هذا وبشكل آخر بلغة بسيطة تلائم المتواضعين من الناس الذين يحسنون البكاء والتصديق .

اما هنا فاني اناجي العقل الشاك والعلم العاطل من الايمان لتكون النصرة لي عليه والتفوق حليفي . كل ذلك بسلاح العلم نفسه.

لقد قيلت تلك الكلمة الحلوة التي تزملنا وتجرنا وراءها لانها مؤثرة . والآن ارشدكم الى الهدف ذاته في سبل اخرى من المخاطرات والجرأة وقوة التفكير . هذا الهدف الذي لن يهتدي اليه من يتخذه رائده لنقصان في ايمانه او لعجز في التوجيه .

ان الفكر البشري سائر على الدوام . فكل قرن وكل امة يتبعان مبدأ من المبادىء حسب تبسط خاضع لقوانين جارية عليكم . ان الفكرة الجديدة في كل حقل تتنزل دائماً من العلى وسرعان ما يدركها العبقري . ثم ها انتم تمدون اليها ايديكم وتمعنون النظر فيها ثم تجزؤنها وتحيون في كل جزء منها وهي تمر بكم وتخالط حياتكم وسنتكم . هكذا تهبط الفكرة ومتى ثبتت في الهيولية فمعنى ذلك انها قد استنفدت دورتها واستهلكتم انتم عصيرها فتنبذونها ارضاً لتمتصوا في ارواحكم كافراد ومجموع نفحة جديدة آلهية

لقد كان لعصركم هذا فكرة خاصة به تبسط فيها كل التبسط فكرة لم ترها العصور التي سبقتكم لاشتغالها بتلقي وتبيان وشرح خواطر اخر . وفكرتكم هذه هي — العلم — الذي حملكم على الاعتقاد بأنكم اكتشفتم الكشف المطلق . هذه الفكرة هي ايضاً نسبية فمتى ما استنفدت دورتها ستتلاشى وتمر كسالفاتها . ولانها اليوم قاربت نهايتها اتيتكم للنجوى .

ان علمكم هذا دفع ذاته في ممر مدلهم لا خروج منه وليس فيه غد لروحكم وعقلكم . ماذا منحكم القرن الاخير ؟ آلات لم ير لها العالم نظيراً منذ نشأته وكانت مكافأته عليها بأن غاض معين الحياة في ارواحكم . هذا العلم هب عليكم كاعصار هدام لكل ايمان وخلع عليكم برداء اللاادرية وجهاً نضب معينه .

انتم تضحكون لا مبالين ولكن روحكم تموت سأماً وضجراً وصراخها يمزق احشاء سامعيها . ان علمكم اشبه الاشياء بنوع من اليأس المنظم ذي الاسلوب المعين وقدري لا بارقة من امل فيه . هل علمكم هذا حل لنا مشكلة الالم ؟

ما هي معرفته باستعمال القوى العظيمة التي منحها من الاسرار المنتزعة من الطبيعة ؟

المعرفة والقوة تتحولان دائماً في ايديكم

الى ذريعة للهدم والفتك

اذا ما نفع المعرفة اذ هي تقودكم الى التيه بدلاً من ان تصعد بكم الى اعلى درجات الكمال والتحلي بأحسن الفضائل

لا تهنفوا[1] ايها الشكاكون انتم الذين ظننتم بأنكم فصلتم في كل شيء . وقد خنقتم في اعماق انفسكم صيحة ارواحكم التواقة الى الصعود . الألم يتأثركم وسيجدكم أنى رحلتم . انتم كالاطفال اعتقدتم بأنكم تجنبتم الخطر حين اخفيتم رؤوسكم مغمضين اعينكم . ولكن اراكم قد تناسيتم ناموساً محجوباً عن انظاركم اصلد من الصخر واقوى من الاعصار يسير سيراً لا هوادة فيه يحرك كل شيء وينفخ من روحه في كل شيء . هذا الناموس هو الله . هو في اعماق انفسكم . فحياتكم هي مظاهر لملكوته . وسيفيض عليكم هذا الناموس من عدله حسبما تستحقون اما السرور واما الالم . هذا هو التأليف الذي سيعجز علمكم عن تشييده ثانية لانه تائه في آخر جزئيات التحليل . هذه هي الرؤيا الموحدة والفكرة الغامضة اللتان احببت ان احملكم اليهما .

(١) الهنف : الضحك باستهزاء .

ولتفهموني يجب ان اكلمكم حسب عقليتكم وأضع ذاتي في الوضع النفساني الذي يترعرع فيه قرنكم . من المحتم ان انطلق من المبادىء المسلم بها من قبل علمكم هذا لامنحه اليوم توجيهاً آخر مختلفاً . فاسلوبكم في سير المسائل الموضوعية التي أسسها الملاحظة والتجربة لا يستطيع ابداً الا اعطاءكم نتائج محدودة معينة بوسع اي سبيل كان ان يحقق لنا نتيجة معينة فقط لا غير والعقل هو احد هذه السبل . فالتحليل ان يكون بوسعه اعطاءنا التأليف الكبير[٢] (وهو التوق العظيم الذي يختلج في اعماق الصدور كلها) الا باجتياز ردح من الزمن لا نهاية له وهـذا امر ليس بيسورنا تحقيقه . علمكم اذاً لا يستهدف ابداً كلمة (اجهل) اعني الفشل فواجب العلم ليس هو فقط التكثير من وسائل الرفاهية لكم . لا تخنقوا النور المنبثق من ارواحكم والذي هو الفرصة الوحيدة وشرارة الحياة المتألقة لتجعلوا من العلم المتفجر من اذهانكم معملاً للرفاهية: هذا انحطاط وايم الله. هذا بيع دني. لانفسكم الى المادة.

العلم للعلم لا قيمة له. قيمته فقط كسبيل للصعود في درجات الحياة العليا . في علمكم خطيئة اصلية وهي توجيهه فقـط الى الاستيلاء على الرفاهة المادية . يجب ان يكون الهدف الاوحد للعلم الصحيح نقل الانسان او نقل حالته من حسن الى احسن . هذه هي الجادة الجديدة التي علينا السير فيها وهي هي علمي انا .

***

انا لا اتكلم للتباهي بعلمي الغزير او لاشبع فضول الانسان، كلا. انا اسير سيراً حثيثاً نحو الهدف لتحسين حالتكم المعنوية لاني أمقت عالمكم هذا ورائدي ان اسدي اليكم كل خير . اصغوا اليّ انتم ايها الضعفاء الايمان . اصغوا الي ايها الشكاكون انتم الذين تحسبون علماً جهل امور الروح السامية مع انكم تعجبون بالجهود التي يقوم بها الانسان في كل يوم لتذليل القوى الطبيعية والاستيلاء عليها . سأعلمكم النصرة على الموت والتفوق على الالم وان تحيوا بنبل وسمو حياتكم الخالدة. والآن الا تندفعون بحماس كي لتذليل العقبات وتحمل الكد اللازم لبلوغ نتائج عظيمة كهذه؟ هلموا بنا أيا ذوي الارادة الثابتة واستمعوا الي. عوا ما اقوله لكم بعقلكم ومتى نفذ اليه النور وتبصرتم بوضوح المنهاج الذي اخطه لكم حينئذ تهتز ايضاً قلوبكم وتتأجج شعلة عواطفكم فينقلب النور الى حياة والتصور الى عمل والخيال الى حقيقة .

الوقت حرج عسير ومع ذلك علينا ان نتقدم . وحينئذ اشي. غير محتمل التصديق به للتركيب النفساني الذي كونه فيكم القرن الاخير) ستبث فيكم حقيقة جديدة بوسائط تكرهون الاعتراف بها ، كي تعثرون على السبيل الجديد . ان الله الذي لا تدركه ابصاركم تدخل دائماً في الانقلابات العظمى في تاريخ الفكر الانساني وغيره . ما تعرفون عن الغد ؟ ما تعرفون عن سبب نجواي اياكم ؟ ما بوسعكم ان تتصوروا ما يخبؤه لكم الزمن انتم اولاء الغارقون في اللحظة الخاطفة الزائلة ؟ انتم لا تعرفون اكثر من هذه الكلمة : الى الامام. سبل الفن والادب والعلوم والحياة الاجتماعية كلها مغلقة بدون غد . ستفقدون غذاء الروح وتجترون الاغذية القديمة العفنة التي لا تصلح الا لجمعها بين ركام الاقذار الـتي يجب ان تنحى عن طريق الحياة . سأناجيكم لامنحكم مرة ثانية الحث على الصعود في الكماليات الانسانية وسأرشدكم الى سبل الروح وافتح لكم تلك الجادة المؤدية الى اللانهاية طالما سدها دونكم العقل والعلم.

اصغوا لي اذاً . العقل الذي تستخدمونه هو أداة تملكونهـا لتزودكم بما تحتاجون اليه من متطلبات الحياة الخارجية : كحفظ الفرد والنوع . عندما تقذفون بهذه الاداة في لجة المعرفة الغامرة ستضل، لان الحواس في حقل المعرفة (تلك الحواس التي تخدمكم عـلى احسن ما يرام في اهدافكم الاعتيادية الجارية) لا تمس الا ظاهر الاشياء . وانتم انفسكم تشعرون بعجزها هذا المطلق في نفوذها الى جوهر الشيء . البحث والملاحظة والتجربة لم تعطكم غير نتائج خارجية عليها سمة العملية . اما الحقيقة الكامنة في الجوهر فقد فاتتكم . لان استخدامكم لحواسكم كاداة للسبر والتمحيص ومهما يكن في عونها من وسائل ملائمة ، ستتركم دائماً امام القشور دون اللباب ، مغلقة في وجهكم سبل التقدم والتمدن والنجاح .

كي نتقدم من الضروري ايضاً ان نوقظ ونهذب وننمي خاصية اعمق من غيرها البصيرة او الحدس intuition .

وهنا تدخل في العمل بعض العوامل التي لها طابع الجدة فيما يتعلق بكم . اي عالم قد فكر قط بانه من اللازم اللازب اذا اردنا تفهم ظاهرة اجتماعية ان يطهر نفسه تطهيراً معنوياً ؟ فالعلم ، وقد ابتدأ بالنفي والشك، اقام مقدماً حاجزاً منيعاً بين نفس الانسان الملاحظ والظاهرة الاجتماعية . فـ « أنا » الملاحظ ظل دائماً غريباً عن الظاهرة الاجتماعية التي لمسته فقط عن سبيل الحواس الضيق . العالم لم يفتح قط باب روحه على مصراعيه كي تنظر الخبايا في وجه الخبايا فتتصل وتتفاهم. العالم ما فكر قط بوجوب حب الظاهرة الاجتماعية وان يتقمص هو نفسه الظاهرة التي يلاحظها وان يحياها . لم يفكر

(٢) التأليف هنا ضد التحليل وهو بالافرنجية Synthèse .

الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون

بقلم الدكتور نقولا فياض
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

*

ذكرت في العدد السابق من « الاديب » ما وصل اليه الحب والزواج في ايامنا هذه والعواقب الوخيمة التي يمكن الافضاء اليها اذا لم تراع فيه شروط الصحة والاعتدال والاخلاص وها أنذا ابحث الآن الوسائل التي نستطيع بها اجتناب هذه الاضرار الاجتماعية بعضها او كلها. فاذا كان من الصعب تبديل العادات، وقد قيل نزع العادات اصعب من نزع الاسنة، اذا كان من الصعب ان نمنع التجارة في الزواج ونمنع الخداع، اذا كان من الصعب مثلاً ان نتغلب على مدمن الخمر ليقلع عنه او يتخلى عن زواج ليس من ورائه الا سلالة ضعيفة مختلة الاعصاب معرضة للامراض، فلا اقل من ان نأخذ الحيطة للمستقبل بما تقدمه لنا خبرة الايام وخبرة العلم، لان صحة الانسان ليست ملكاً له وحده بل هي ملك الاجتماع ومن حق الاجتماع ان لا يغض الطرف عنها.

اقول صحة الفرد ملك المجتمع لان هناك تضامناً عاماً يربط الناس بعضهم ببعض في الحاضر والمستقبل فالذي يتناول الخمر مثلاً بطريقة تبعث على التسمم لا يضر نفسه فحسب بل يضر سواه اذ يصير كالمريض العاجز عن العمل ويصبح عالة على غيره فضلاً عما ينقله الى ذريته من المصائب.

فاذا اهتممنا باصلاح النسل ففائدة هذا راجعة الى كل واحد منا. وما اجمل الحياة اذا كنا لا نجد من حولنا فيها غير ما يبهج النظر ويريح الفكر ويقضي ببلبلة الخاطر واضطراب النفس والخوف من العدوى والتألم لآلام الآخرين.

ان اهم العلل التي تؤثر في النسل فتنتقل اليه بالوراثة او تخلق فيه ارضاً صالحة لنماء جراثيمها هي السل والزهري والسرطان والجنون. على انه لا مشاحة في ان منع الزواج منعاً باتاً عن المصاب باحد هذه الامراض تحكم وظلم. فالسل غير وراثي والزهري قابل الشفاء بالمعالجة.

وهذا الانقلاب في آراء الاطباء بما يخص السل بعد ان لبثوا زمناً طويلا يؤمنون بانتقاله بالوراثة دليل على ان الطب غير معصوم عن الخطأ ولكن لا يدل على افلاسه وهو يعلمنا ان نكون اكثر رأفة بالمصابين فلا نزيد آلامهم باضطهادات لا مبرر لها غير جهلنا.

قط بأن عليه ان ينقل « أنا » باحساساتها وشعورها في لب الظاهرة ليس فقط بالاتحاد واياها بل وصهر روحه فيها.

هل تفهمونني ؟ ليس بطاقة الكل ان يفهموا لانهم يجهلون سنة الحب الكبرى، يجهلون بأن الهيولية هي، مهما كان شكلها (حتى في ذراتها ودقائقها) ومهما كانت مسنودة، موجهة، منظمة من الروح، هي موجودة وفي اي مكان على درجات متفاوتة من الظهور كي تفهموا جوهر الاشياء يجب ان تفتحوا ابواب انفسكم وتقيموا عن طريق الروح هذا البث والاتصال الداخلي بين روح وروح، يجب ان تحسوا بوحدة الحياة التي تؤآخي المخلوقات كلها من انسان وجماد وتجعل التبادل وثيقاً بينها بقانون مشترك. يجب ان تشعروا بهذا الرابط الودي الحبي نحو اشكال الحياة الاخرى كلها، لان كل شيء من الحادث الكيمائي الى الحادث الاجتماعي هو حياة قائمة بمبدأ روحي كبير. كي تفهموا من المحتم ان تضموا بين جوانحكم نفسا طاهرة وتربطكم بكل المخلوقات رابطة الانجذاب والعطف. العلم يسخر من كل ما ذكرنا، لهذا اخذ على عاتقه ان يكتفي بانتاج الرفاهية لا غير.

التوجيه الجديد كامن فيما سأفضيه اليكم. وعلى الانسان ان يتوجه شطره كي يستطيع التقدم في مدى المعنى الذي اردناه.

مصطفى آل عبال

اما الامراض الزهرية فهي معدية ووراثية ولكنهـا قابلة الشفاء بالعناية ، على اننا لا نعرف الى اية درجة تحمينا هذه العناية، او يقينا هذا الشفاء الظاهر من تعرض السلالة لها ، كما لا نعرف اذا كانت عودة المرض في الامكان ، ولا متى يعود .

واما الجنون فمن الحكمة ان لا نستسلم الى التطرف فيه لان معارفنا الطبية لا تزال قاصرة في هذا الباب . خذ داء الصرع مثلا فهو يعتبر اليوم عرضاً لأمراض مختلفة . فقد يكون وراثيـاً في الاسر المدمنة على تعاطي المسكرات ، وامـا فيما خلا ذلك كالحوادث التي يتأتى فيها عن التهاب سحايا الدماغ في الطفولة فان وراثته غير اكيدة .

من اجل هذا يجب التروّي كثيراً قبل ان نحكم على انسان بعدم اهليته للزواج . فضلا عن ذلك فمن الصعب على الواحد منا اياً كان ان يُثبت انه سليم من شائبة هذه الامراض في اسلافه مثلا .

وقد ارتفع صوت علماء الاجتماع بالانذار ونادوا بالويـل والثبور، ورأوا ان افضل ذريعة لحصر مساوىء الوراثة المرضية هي ضرورة الشهادة الطبية قبل الزواج كما يُعمل في الخدمة العسكرية عندهم لان جند الذرية كجند الدولة بل أهم .

وكان «هنري كازالي» اول من طلب ذلك ونادى به في فرنسا، واستقبل اهل الادب هذا النداء قبل الاطباء فكتبوا فيه مشجعين .

غير ان هذه الشهادة لا تكفي اذا أخفى الرجل سوابقه او كانت الاعراض نائمة فيه ، او كان طبيب الاسرة مقيداً بسر المهنة فأبى اعطاء الشهادة . وقد يتزوج الرجل بعـد اذن الطبيب او مصادقته ثم تظهر فيه اعراض غير منتظرة ، فمن اين لنا ان نبرهن على سوء نية الطبيب الذي اسرع في اعطاء شهادته .

نحن اذن لا تزال امام مسألة صعب حلها ، ومع ذلك فـلا يجوز ان تبقى عملية التناسل خاضعة للغريزة دون تحكم العقـل والضمير فيها . لا يجوز ان تبقى في العصر العشرين كما كانت في العصر الحجري عملا بهيمياً .

ولا سيا لانه ليس لنا من النظم المشروعة ما يخولنا حق معاقبة من يقدم عليها إقدام الجناة الذين لا يهمهم من عمران الكون الا ان يكونوا وحدهم المتمتعين .

وبما ان كثيراً من الناس لا يعرفون ماذا يعملون فمن الواجب ارشادهم وتنوير اذهانهم .

ولو كانت الشرائع الطبيعية هي التي تسير المجتمع لكان على الانسان ان يطيعها فيقتل المواليد الضعيفة التي لا قيمة لها كالصم والبكم وذوي العاهات التي تمنع المرء من ان يكون عضواً نافعاً في المجتمع . والواقع ان شيئاً من هذا لا يوجد بل نحن على عكس ذلك نعنى عناية خاصة بالضعفاء والمجرمين ونبقي على فريق من الناس لا ينتظر منهم غير الشر وكل هذا لان المجتمع يهتم بسعادة الفرد اكثر من سعادة الجماعة . وعلى هذا الوجه نرى الخطر يتهدد مهدداً جسم الاجتماع من كل ناحية ، فان عدد المعتلين يزداد حتى في المدارس فتزداد بهم عناصر العصيان والثورة والاجرام ولا ننس ان واحداً من مثل هؤلاء اثار الحرب الكونية السابقة .

كان اليونان والرومان يقتلون الضعفاء فهل يقتضي ان نحذو حذوهم او نجمع هؤلاء في جزيرة منفردة كما فعلت تركيا يومـاً بكلاب الاستانة ؟ ولكن الدين يحرم ذلك فما الحيلة ؟

لا احب ان يفهم من كلامي غير ما اقصد اليه فأنا اول من يدعو الى الرحمة ومناصرة الضعيف وتوفير اسباب الراحة لكل بائس ولكن من الواجب ان نحدث ثورة في عادات التفكير والمعيشة نصل بها الى مثل اعلى جديد يساعدنا على محاربة كل هذه العوامل التي تتألب علينا لاضعاف صحة الانسان وصحة الذرية .

لا اطلب ان يقام اصطبل بشري كما ارتأى الدكتور «بنه دي سانكه» احد علماء النفس اي ان يجمع بين الاقوياء من الجنسين للتصالب فهذه فكرة تنزل بالانسان عن مقامه السـامي وتهين الكرامة الانسانية . والافضل في نظري ان نخلق نظاماً جديداً غير الموجود وعكس الموجود وذلك ان نصرف همنا الى مساعدة القوي قبل الضعيف فان هذا الاخير مهما اعددت له من وسائل الاصلاح فقلما يرتفع الى المستوى الطبيعي واما القوي فانه يعطيك سلالة لها من المناعة والجمال ما يجاوز الغاية . يجب ان نسـاعد هذا الشذوذ الموجود بين الناس لا ان نزيله ، لان المساواة حلم لا يمكن تحقيقه .

واذا وجدنا فتى على جانب عظيم من الصحة العقلية والبدنية فلا نحسبه في غنى عن مساعدتنا بل نسعى في اغناء استعداده واهليته وتعبيد طريق النجاح امامه لان خلاص الامة يكون بمساعدة اقويائها لاضعفائها . وكما كانت الامم الكبيرة تكافىء وتمجد من يقدم حياته في سبيل الوطن يجب ان نشجع ونكافىء كل مجتهد في هذا السبيل فلا نحتاج الى ترديد قول ابي العلاء :

هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد

نقولا فياض

من الارض الى الشارقات

بقلم فؤاد ايوب

☆

هناك موكبة سحرية سريعة تقطع في كل ثانية ثلاثمائة ألف من الكيلومترات، وهي النور. فاذا لم يكن عندك اي مانع فستركبها في نزهتنا هذه.

سأحاول الآن ان أعطيك فكرة سريعة عن هذا العالم الذي نعيش في وسطه. عد الثواني معي: واحدة، اثنان ثلاث. ها نحن نبتعد عن الارض بهذه السرعة الهائلة وحين تصل في العد الى الرقم «٣٦٠٠»، اي بعد ساعة من رحيلنا نكون قد قطعنا مسافة تزيد عن مليار كيلومتر. وبعد ربع ساعة نكون قد قطعنا ستة وعشرين ملياراً من الكيلومترات.

مسافة هائلة ولا شك، فلو أننا ارسلنا طائرة بسرعة «٣٠٠» كيلو متر في الساعة، فان «١٠٠٠٠» سنة تكفيها كي تقطع هذه المسافة نفسها.

فلنقف لحظة هنا ولنلق نظرة حولنا انك لا ترى سوى نجوم من كل جانب وفي كل ناحية، فهذا نجم القطب، وهذا الدب الاكبر وذاك منكب الجوزاء الخ. وبالرغم من المسافة التي قطعناها، لم تبدل هذه النجوم أماكنها وما زالت تبرق بنفس الضوء الذي كانت عليه ونحن على الارض. اظنك تبحث الآن عن الارض التي تركناها منذ أربع وعشرين ساعة فقد ضاعت وسط هذا الخضم فلم تعد ترى بالعين المجردة.

اما أقرب نجم الى الارض، ما عدا السيارات، فلا بد لنا كي نصل اليه من أربع سنوات ومئة وثمانية وعشرين يوماً، تحملنا خلالها تلك المركبة السحرية. وأما نجم القطب، هذا النجم الذي يشير الى جهة الشمال فانك تستطيع ان تؤكد لنفسك ان النور الذي يأتيك منه قد أمضى ستة واربعين عاما في الطريق.

ومجموع هذه النجوم التي نراها باعيننا او بواسطة المراصد، والتي تسجلها لوحات التصوير، يؤلف عالمنا هذا العالم القابل لأبحاثنا والذي نعيش في وسطه. الا ان هذا لا يمنع وجود عوالم اخرى لا نستطيع الان على الاقل، أن نراها.

وكل نجم، يؤلف شمساً يدور غالباً حولها توابع لها تدعى السيارات. فان شئت اذن فقل ان كل نجم يؤلف نظاماً.

كم من مرة سألت نفسك أهناك حياة على غير الارض من السيارات؟ واذا لم يكن هناك حياة فهل يمكن لها ان توجد وان تدوم؟ الى غير ذلك من الاسئلة.. التي لم تجد لها، فيما اظن، جوابا. وتلك الضجة التي قامت بين الناس منذ زمن قريب حين اكتشف الفلكيون وجود العشب والماء في المريخ، وظهرت لهم علائم تدل على وجود بشر فيه فتساءلوا، والبعض أكدوا، ان الحياة البشرية موجودة في المريخ، تلك الضجة ألم تثر اهتمامك وتبعث الفضول في نفسك.

تعال بنا اذن نعود ادراجنا وسأمر بك على الشمس أولاثم على بقية الكواكب بالتتابع. وها هي شمسنا تكبر وتزداد نوراً كلما اقتربنا منها، هذه الكتلة الهائلة من النار ترسل بحرارتها ونورها بعيداً فتحفظ الحياة على سطح الارض. ولو أنها بخلت بها يوماً لقضي على البشرية بالفناء. ان حرارتها لا تطاق، تبلغ الفين درجة على سطحها وتصل الى ملايين الدرجات في مركزها.

ثلاث دقائق أخرى وسنجد نفسنا في منطقة عطارد. فنحن على بعد ٥٨ مليوناً من الكيلو مترات عن الشمس (وقد تنقص هذه المسافة في الصيف). واذا كانت الحرارة في السنغال تبلغ ٧٠ درجة تحت أشعة الشمس، فاني ادع لك ان تتصور ما ستشعر به اذا وضعت قدمك على سطح عطارد، لان درجة الحرارة اذا كان قياس فلكيي الأرض صحيحاً، تبلغ ٥٢٠٠ وقد

ترتفع أحياناً حتى ٣٠٠ وهي تصغر ارضنا بثماني عشرة مرة. فلا تحاول ان تكتشف على سطحها بحاراً او محيطات . لان الماء الذي كانت تحتويه لا بد أن يكون قد تبخر منذ أمد بعيد .

وليس لعطارد جو يحيط به . فهو لصغر جسمه وضعف جاذبيته لا يستطيع ان يحتفظ حوله بذرات الهواء. فتنفلت هذه وتذهب الى حيث تدعوها جاذبية اقوى.

وهذه الزهرة تظهر لنا من بعيد، ألست ترى اليها ؟ انها تشبه أرضنا كل الشبه فلها نفس الحجم تقريباً بما ان قطرها لا يصغر عن قطر الأرض البالغ «١٢ر٧٦٠» كيلومتر ، الا ثلاثين كيلومتراً . وهي محاطة ايضاً بجو كجو الأرض فيه غيوم وسحب كثيفة كما يظهر جو الأرض احياناً وهذه الغيوم والسحب تحجبها غالباً عن اعيننا .

وللزهرة نفس قوة ثقالة الأرض فالجسم الذي يقطع في سقوطه الحر على سطح الأرض ٩ر٨٠ متراً في الثانية ، يقطع في مثل هذا الزمن على سطح الزهرة ٨ر٢ متراً.

وان كان ثمة فارق أساسي بين السيارتين فهو يكمن في اختلاف بعدهما عن الشمس فالزهرة أقرب اليها من الأرض بـ ٤١ مليوناً من الكيلو مترات . ولذا كانت حرارتها اكثر ارتفاعاً وهي تبلغ ٥٨٠ وسطياً . ولحسن الحظ ان الماء يكون في مثل هذه الدرجة في حالة تبخر دائمة فيستطيع بانتشاره في الجو ان يخفف من درجة الحرارة وأشعة الشمس .

لو أجبر احدنا على ان يعيش في مكان غير الأرض ، فانه سيجد في الزهرة أصلح مسكن له . ذلك ان الحرارة ستكون ، تحت سطح أرض الزهرة بضعة امتار ، موافقة لأجسامنا كما انها ستكون في القطبين أخف منها في خط الاستواء. واذا ما كان يسكن الزهرة كائنات حية مفكرة فلا بد ان هذه الكائنات تبني مدنها وشوارعها ومنازلها تحت سطح ارضها ، كما سيحدث لأهل الأرض بعد سنين حين يجدون انفسهم مضطرين الى ذلك، خوفاً من القنبلة الذرية .

ولما كانت الزهرة اقرب السيارات الى الأرض ، فان الفصول فيها تشابه فصولنا تماماً الا انها تتوالى بسرعة أعظم لأن سنة الزهرة تعد «٢٢٢» يوماً فقط من ايامنا . .

ولكن هناك كوكباً يتقدم نحونا بشكل هلال ، وبسرعة ثلاثين كيلومتراً في الثانية ؟ ما عسى ان يكون ؟ انها الارض، وهذا القمر يصحبها .

أراك تفتح عينيك فذاك لا تكاد تبصرها على صفحة الفضاء السوداء . ان شعاع النور يحملنا قريباً منها. لقد اصبحت متميزة الآن وقسمها الذي يواجهنا نير أما القسم الآخر فغارق في الظلام ، ولو ان طبقة الارض لا تحجب عنك سطح الأرض ، لرأيت الناس رائحين غادين الى اعمالهم ومنازلهم ، مسرعين لايلوون على شيء. بينما في القسم الثاني المظلم من الأرض، قد تكدست بهم المقاهي والمطاعم ودور السينما ، يحيط بهم جو من دخان التبغ ، يعيشون جميعاً دون أن يفكر أحدهم في المكان الذي تحتله الأرض من الفضاء .

ان المريخ يلمع عن بعد « ٦٥ » مليوناً من الكيلو مترات ونصير الى جانبه . انه يدور حول الشمس بسرعة ٢٤ كيلومتراً في الثانية ويتطلب «٦٨٧» يوماً كي يتم دورة واحدة حول الشمس، ويومه يعادل يومنا تقريباً . ها هو عبر أمام انظارنا . وتلك البقعة البيضاء، انها قطب المريخ الجنوبي حيث توجد ثلوج كما على الأرض ، وان كانت ثلوج المريخ أقل كثافة وتراكماً من ثلوج الأرض .

وسيتعرض هذا القطب للشمس سنة كاملة فتذوب هذه الثلوج و تتبخر آنياً، فيتشربها الهواء. وتحمل الرياح الرطوبة الى خط الاستواء . .

ويدعو الى استبخار الماء آنياً، خفة الضغط الجوي الذي يبلغ عشر ضغط الأرض .

وكلما خف الضغط زاد التبخر سرعة وزادت الحياة تعذراً .

ان هذا الكوكب الذي يصغر الأرض بست مرات بارد جداً حتى ان الحرارة التي ترتفع في خط الاستواء فوق الصفر بقليل خلال النهار ، تهبط في الليل بتأثير الاشعاع الحروري ، حتى المائة تحت الصفر .

ان نباتات يمكن ان تنبت في مثل هذا الاقليم؟ ومع ذلك فهل ترى الى تلك المساحات الشاسعة الخضراء ؟ ومما جعل البعض يؤكدون وجود بشر على سطح المريخ، هي تلك الترع والقنوات التي ظهر اخيراً انها ليست الا عبارة عن خداع ضوئي في النظر ناتج عن عدسات المراصد الصغيرة .

واذا علمت ان المريخ عالم كهل اكثر من الارض وقد جفت مياهه، لان ما كان البعض يطلق عليه اسم البحار ليس الا سهولا واطئة فان الحياة متعذرة في المريخ على الشكل الذي نتصوره نحن وان كانت ممكنة لبعض النباتات التي لا نعرفها .

هذه العوالم التي رأيناها حتى الآن كانت عوالم قد شاخت نسبياً ، وهي في طريقها الى الموت وبعضها « عطارد والقمر » قد ماتت فعلاً . اما هذا العالم المشتري الذي بدأ يلمع عن بعد والذي يبعد كما تعلم « ٥٥٠ » مليوناً من الكيلو مترات عن المريخ فأمره يختلف كل الاختلاف . فهو وزحل الذي يليه، عالمان قد قاوما مدة

طويلة ، نظراً لكبر حجمها ، البرد الذي يحيط بها ، الا ان هذا البرد سيتغلب يوماً ما على مقاومتها فيمران بالمراحل التي مر بها وسيمر غيرهما من الكواكب .

اراك مستغرباً وجود مثل هذا البون الشاسع بين سيارتين ، المريخ والمشتري ، ومع ذلك فنحن لا نرى سوى هذا الاخير وقد بدأ يظهر لأعيننا ، وسوى تلك السيارات الصغيرة المنبثة في هذا الربع الخالي من الفضاء .

ما عسى ان تكون هذه السيارات ؟ هل هي بقايا سيارتين كانتا قديماً تدوران حول الشمس بين المريخ والمشتري ، ثم تصادمتا لخلل حدث في النظام الشمسي فتحطمتا وصارتا قطعاً صغيرة ، أم هي بقايا سيارة اصطدمت بالمشتري العملاق فتكسرت ولم تؤثر عليه ، أم هي بقايا سيارة انفجرت بفعل حرارتها الداخلية أو اي شيء آخر .

هذه أسئلة لم يستطيع الفلكيون بعد ان يقطعوا فيها برأي . أن حدوث خلل في ناموس العالم ينشأ عنه اصطدام سيارتين وتحطمها أمر ابعد ما يكون عن الصواب .

ويرى بعضهم بأن هذه الكواكب الصغيرة قد نشأت عن الشمس نفسها ، وان المشتري قد ضم اليه ما قد دخل منها في منطقة تأثيره بينما جعل يبعثر الباقي ويمنعه من التجمع وتكوين سيارة واحدة ، هذا الرأي هو اقرب الى الصواب من غيره . وهكذا فأنت تجد أن الارض ليست سائرة نحو الفناء لأن نواميس العالم سيطرأ الخلل عليها فتأخذ النجوم والسيارات يصطدم بعضها ببعض على غير هدى وتتحطم . هذا أمر غير محتمل واذا كان لا بد للارض من الفناء يوماً فسيحدث ذلك بتأثير خمود حرارة الشمس او غير ذلك من تعليلات الفلكيين المتعددة .

والمشتري اكبر من الأرض بالف وثلاثمائة وتسع مرات ومع ذلك فان ثلاثمائة واربع عشرة ارضاً تكفي لموازنته . فعناصر الأرض اكثر تكثفاً وتجمعاً من عناصر وذرات المشتري واذا كانت كثافة الأرض ٥ر٥٢ فان كثافة المشتري لن تتجاوز ١ر٣٢ ومع ذلك فان المشتري ، نظراً لكبر حجمه يساوي ضعف وزن السيارات متجمعة .

وحول المشتري يوجد طبقة جوية عظيمة تمتد الى آلاف الكيلومترات وهذه الطبقة تحدث ضغطاً عظيماً على الغازات فتميعها . ولا يمكن طبعاً ، في هذا الجو الملىء بالابخرة المعدنية ، لأي حياة ان تنشأ وتدوم وسيصبح المشتري بعد ملايين السنين ، « ارضاً » . وقد يكون من المستبعد ، او لا يكون ، ان تنشأ حينذاك حياة على هذه الأرض الجديدة .

هذا العملاق قد اخذ يصغر كلما ابتعدنا عنه بسرعتنا الهائلة ونحن نسير قدماً الآن دون ان نلاقي في طريقنا الابعض المذنبات التي تظهر هنا وهناك من حين الى آخر .

بضع مئات من الكيلومترات ونصبح في منطقة جاذبية زحل العظيم . سيار هائل ، اكبر من الأرض بـ ٧٣٣ مرة ومع ذلك فهو اخف من المشتري .

يحيط بهذا العالم الملتهب حلقة هائلة الشمس ، تدور حول السيار على بعد ١٦٠٠٠ كلم وعرضها بالغ ٦٠٠ كلم « اربع مرات قطر الأرض » اما ثخنها « ١٥٠ » كلم فانه لا يكاد يخفي شيئاً من معالم السماء .

اراك تطيل النظر اليها . لقد اعجبتك ولا شك حلقتها واقمارها العشرة . حقاً انها لأجمل كوكب في نظامنا الشمسي . حولها طبقة من الجو تمتد مئات الاميال تلتهب بأبخرة المعادن الحارة ولكن الحياة العضوية متعذرة في هذا الجو الملتهب .

مليار آخر من الكيلومترات وندخل في منطقة اورانوس : عالم أكبر من الارض بـ ٥ر٧١ مرة شديد البرودة يجهله الفلكيون تقريباً وان كان قد ثبت ان الحياة غير ممكنة على سطحه .

لنسر دوماً وها نحن نبلغ الكوكب نبتون : عالم لا يختلف عن اورانوس الا بحجمه وبرودته ، فالحياة معدومة عليه ايضاً .

والآن وقد أدركنا هذه النقطة من رحلتنا فلا ريب أنك تظن أنها قد انتهت والحقيقة أننا لو خرجنا اليها منذ عشرين عاماً تقريباً لكنا وقفنا هنا دون أن نطمع في المزيد . ولكن لحسن الحظ او لسوئه قد اكتشف الفلكيون عام ١٩٣٠ سياراً آخر دعوه بلوتو لا بد لنا من رؤيته كي ننهي رحلتنا . ولكني افضل عدم الذهاب الى هذا الكوكب الجديد . وساستبدل رؤيته بالحديث عنه فأخبرك بأنه ذو حجم صغير خال من اي جو يحيط به كعطارد تماماً ، وان كان يختلف عن هذا الاخير ببرودته الشديدة . ولو اننا قبلنا بوجود الحياة على عطارد لكان من قبيل السخف قبول وجودها على بلوتو . وهو يبعد عن الشمس ، حسب تقدير مكتشفه سبعة بلايين من الكيلو مترات ولا يتم دورته حولها الا خلال قرنين ونصف القرن .

تعال بنا نعود الى الأرض حيث كنا بين الناس . واذا كانت هذه النزهة قد اعجبتك فسنقوم بنزهة أخرى وعساها تكون في القمر فطالما اننا نمتطي النور في نزهاتنا فالقمر ليس الا احدى ضواحينا .

دمشق — فؤاد ايوب

من المساء الاخير



« انتِ طريقي الى الخلود ، خلود لا تحاسبني عليه الأجيال القادمة
كأن يبقى اسمي بينها ثلاثة قرون أو أربعة ، بل الخلود الذي أحسه فيما بيني وبين نفسي كلما عشت لحظة عميقة معكِ »

صديقي

انني أعيش هذه الايام في دهشة مستمرة ... الاشياء المألوفة أراها جديدة علي ... وما اعتدته كأنما استمتع به للمرة الاولى. لقد رأيت الغروب بالامس وأدركته من جديد ، وعشت التجربة يا صديقي كما لم أعشها من قبل ، واستوعبتني اللحظة الرهيبة واستوعبت معها كل حياتي الماضية .

كان النور يملأ جوانب السماء والارض، وكان الناس يتحركون في سذاجتهم الحلوة نحو شهواتهم ومسراتهم وآلامهم ... وانبسطت أمامي مياه النيل تسبح في النور ، ومن فوقها رفّت بضعة طيور واشرعة بيضاء . وهناك ، من بعيد ، كانت ظلال الاشجار والتلال والافق اللامحدود تضطرب جميعها في النور . كان النور يلف الكل في عباءته الدافئة الناصعة . لكن الشمس ، مصدر النور ، كانت قد أخذت تميل ، كأنما ثمة حدث رهيب محتم قد أوشك الوقوع .

وبدأت الشمس تغرق بين الغيوم . وهناك جعلتُ أبحث عن لون آلفه وأحبه . كنت أبحث عن اللون الاحمر الداكن المنطفىء، لا ، ليس أي لون احمر داكن منطفىء، بل لون معطفها هي واثوابها هي ... وقد كانت فروق اللون الاحمر ودرجاته كثيرة جداً ودقيقة جداً لا يكاد الغريب يميز بينها . اما أنا فكنت أعرف جيداً لوني الذي اريده ... لم يكن قد ظهر بعد . لم يكن الغروب قد بلغ أوج روعته .

وأحسست صلة اخذت توجد بيني وبين الكون جميعه وقد تركزت ينابيعه هناك ... حيث الغيوم المخملية والشمس المتقدة الحمراء وهي تخبو شيئاً فشيئاً وتتضح شيئاً فشيئاً . كان احمرارها يتجمد قليلاً وكان قرصها يتسع ويتسع . وكانت اشعتها قد تناثرت كأنما هي اجنحة من لهيب تحتضن الغيوم . اما الصلة التي بيني وبين الكون فكانت تزداد وجوداً كلما أوغلت الشمس في ابتعادها، وكلما أخذت اصوات القوم من حولي تخفت شيئاً فشيئاً . كانت محاريث الجزيرة المقابلة لي قد سكنت ، وأغنامها وابقارها اخذت تعود الى مزاودها ، والاشرعة اطمأنت الى مراسيها ، والطيور غابت ، ومياه النيل تنعكس فيها اضواء الغروب . و في المياه المرتعشة جعلت أبحث عن لوني . كانت ثمة ألوان تنتفض في أعماق السطح المتجعد . أيمكن ان يكون لوني غارقاً هنا مع الاسماك والجنيات وحشائش الاعماق ؟ لا ... ولا حتى هنا !

ورفعتُ عينيَّ ... كانت الشمس، مصدر النور، قد اختفت تماماً . وكان أملي في العثور على اللون الاحمر الذي انشده قد أصبح ضئيلاً . عبثاً نشدته في قرص الشمس حين كان متقداً وحين أخذ يتجمد ، وعبثاً نشدته في الغيوم الناعمة المخملية حين كانت تسبح كالفراشات خفيفة طائرة وحين أخذت تنثقل كلما ازداد اللون الاحمر تعمقاً فيها ، وعبثاً ترآيته على سطح المياه المرتعشة وحتى في اعماقها الهادئة ... أين اذن يمكن ان يكون ؟

وفجأة لمحت اللون الاحمر من جديد ، كانت ثمة سحب صغيرة متفرقة وممزقة بشدة قد اصطبغت به ناحية الجنوب . لكنه لم يكن اللون الاحمر الذي أنشده ، لم يكن داكناً بالدرجة التي اريدها ولا منطفئاً تماماً ، بل كانت هذه الغيوم كأنها بقع من الدم نسيها كاهن من كهنة اسرائيل على ثوبه الطاهر بعدما ذبح الكفارة .

وبدأ لون الدماء في الجنوب يزداد ثقلا وتعمقاً ، حتى استحال مع الليل الزاحف الى لون اسود خالص .

واخذت طفولتي تمر امامي، صحائف من العهد القديم وصحائف من العهد الجديد ، وأي عهد قديم وعهد جديد يا صديقي! واخذت تنبعث أمامي صور من الطبيعة الحية ، من كل مكان فيها ... السيول التي تنحدر ولا تعود تصعد ، الزهور التي تقطف ولا تعود تزدهر ، الشموس التي تغرب ولا تعود تشرق ، والاحباء الذين يذهبون ولا يعودون .

وكان كل شيء قد سكن تماماً، فأحسست بأنني دخلت عالماً جديداً ، عالماً من الظلام، ليس فيه اتصال النور ولا تجسد الواقع، بل خليط من الحلم والظلام . واختفت معاني هذه الصلة التي

كانت تقوم بيني وبين الكون .

وأخذتُ أقترب في بطء من مياه النيل ، حتى رأيت خيالي منعكساً فيها على ضوء نار خافتة تنبعث من وراء شراع قريب . كان ظلي المنعكس في المياه أسود ، كهذا اللون الذي استحالت اليه غيوم الجنوب الدموية ساعة الغروب . وكان ظلي يرتعش حتى ما وراء السطح بقليل دون ان يمس الاعماق . ولم يكن ثمة امل في رؤية اللون الاحمر من جديد .

كانت الشمس قد اختفت من المكان حولي . لكن وجودي كان قد بدأ يأخذ في نفسي صورة مكانية . وكانت ينابيعه المتقدة والمتجمدة على السواء لا تزال تتركز حول غروبها هي : بين ادبار نور صاخب وهاج واقبال ظلام رائع طويل . لحظة توتر مهولة يا صديقي وقلق ضخم يضم وجود الواحد منا بارتعاشاته وانتفاضاته .

وكنت أحس الآن ان عمري بعد غروبها يساوي تماماً عمري قبل هذا الغروب رغم أنني كنت ادرك انه مضى معي نهار كامل ملآن بالنور ، كان فيه فجر طاهر بكر غني ، وكان فيه ضحى دافىء حي ، وكانت فيه ظهيرة وعصر . . . وكنت ادرك انه لم يمض على هذا الغروب سوى بضع ساعات ، لكن منذ لحظة الغروب هذه ، منذ رأيت بدلاً من لوني الاحمر الذي انشده بقعاً من الدم صبغها السواد اخيراً ، ومنذ ارتعش ظلي حتى ما وراء السطح بقليل . . . منذ هذه اللحظات وأنا احس بأن عمري بعد غروبها أمسى طويلاً طول حياتي فيما قبل هذا الغروب .

وكنت اعلم أنني اوغل نحو منتصف الليل ، نحو عمق اعماق الظلمة . ولم أكن ادري هل اخذ عمري يتضاعف بعد الغروب عما عشته أثناء النهار ، أم أنه وقف وما عاد يزداد .

وأخذت اتساءل : أما كبرتُ قليلاً في هذا الظلام ؟ أما اخذ ظلي يزداد عمقاً حتى بلغ الاعماق ؟ ذلك ان المعاني كانت قد اختلطت في نفسي ، واستحال كل شيء امامي الى مجرد اشباح . . . وكنت قد بعدت عن الشاطيء قليلاً ، فعدت اقترب منه . كان الظلام قد أبعد كل شيء ، وعزل كل حي وصار كأنه قطع من الفراغ الهائلة ونظرت الى ظلي الذي أدوسه بقدمي وهو غارق تحتي يضطرب في الماء ، كان الآن اسود تماماً . . كان لا يمكن ان يكون سواده اكثر تحديداً ولا اكثر ثباتاً من هذا السواد ، كأنما كان حقاً لونه الاول احمر كان بقع الدم فيما بعد الغروب . . . ويكاد الآن يمس الاعماق .

ورفعت عينيَّ ، فرأيت انني في الجانب الآخر من الشراع حيث النار الموقدة أخذت تنكمش وتتجمد في بريق الجمرات .

وفجأة ، وبغير ان ادري كيف حدث هذا ، عثرت على لوني الاحمر المنطفىء يتخلل هذه الجمرات المتقدة في أعماق الظلام !

ولمحت شبحاً ينتصب ، ثم ينحني على السطح ويغترف من مياه النهر ، ثم يصبها فوق الجمرات . وتصاعد مزيج من الدخان والضباب . وكان هذا هو كل ما حدث .

وعندما انطفأ كل شيء ، علمت ان غروبها قد بلغ أوج روعته ، وان عمري في الظلام لا يمكن ان يكون مقياسه حياة النور والنهار ، بعد الآن .

القاهرة يوسف اسحق الشاروني

غيوم

☆

إليكِ عني فما في كأسي الظامي غير الثمالة من اشلاء أحلامي
اليك لا توقظي أمسي فقد خفتت أصداؤه في حنايا الخافق الدامي
اليك لا تبعثي الذكرى فقد غربت أطباقها وتلاشى سحر اوهامي
أمسي سرابٌ خيالات مضللة قد لاح يلمعُ في صحراء أيامي
خدعت نفسي في اغراء فتنته وقد صحوتُ فلا خمري ولا جامي
لم يبقَ لي غير آمالٍ محطمةٍ نثرتُ فيها هباء زُهرَ أعوامي
يا للجوانح من تيهٍ يؤرقني ومن تهاويل اشجاني واسقامي
حيران أين طريقي ؟ أين مطلعه ؟ قد تهتُ ما بين إحجامي وإقدامي
لكن الى اين ؟ لا أدري فقد سئمت ما ليس تدركه في الكون أفهامي
لم تنته النفس من اسرار حيرتها وفي ضلالتها حطمت أقلامي
سأغمض الجفن يا دنيا وما رشفت عيني سنا النور في ديجور إظلامي
غدي وأمسي غيوم جهمت افقي فليس أدرك ما خلفي وقدامي

بغداد كاظم السماوي

الطالب الحق

بقلم محسن مهدي

الطالب مدلولان: أولهما رسمي عرفي، وهو تسجيل في مدرسة أو جامعة، وحضور دروس معدودة معلومة، وحصول على شهادة، وتخرج، والثاني هو الطالب الحق وهو موضوع حديثنا .

الطـالب الحق هو الذي شعر بذاته ، وقلق على وجوده ، فجاهد للتحرر من قيوده ، في طريقه للمعرفة .

الشعور بالذات

والشعور ليس من خصائص الانسان وحده، بل رافق الحياة منذ انبثاقها وسار معها في تفتح مستمر متصاعد، حتى بلغ قمته من الانسان حيث ظهر على صورة فريدة هي الادراك الذاتي . وبينا يشترك كل انسان مع بقية الاحياء في الدرجات المنحطة من الشعور ، لا يصل قمته الا من جاهد لهذه النهاية، لان الوصول لها يتطلب القلق والحرية والمعرفة وهذه تختص بالانسان الذي يتميز بها دون سواه .

والشعور بالذات لا يعني الانطواء عليها والاكتفاء بها ، أو الانقطاع عن كل ما هو خارج عنها او اسمى منها، أو الحط من شأن الآخرين وانكار مكانتهم والهزء بقيمهم ، بل العكس هو الصحيح ، لان الشعور الحق هو استغوار للذات واستبطان لها وبالتـالي ادراك لحدودها وفقرها وحاجاتها . هو ادراك بان وجود الذات محدود من الزمان والمكان وسينتهي فتموت وأن الفترة المحدودة من الذهن هي كل ما تملك ، وبانها مقيدة بطبيعة ذات قوانين لا ترحم .

والشعور الحق يظهر للذات فقرها الروحي ويجابهها بمشاكل تراودها في حلها وترحالها ، وتتطلب منها العمل لحلها .

والشعور يظهر للذات حاجاتها الاصيلة وطرق الوصول الى تلكم الحاجات ، والذات التي تسيرها عوامل خارجية ، لن تصل الى غاية حقة ، لان الغاية الحقة هي تلك التي تشعر الذات بالحاجة اليها فتجاهد من أجل الوصول لها .

والشعور بالذات يدفعها الى استكناه حقيقة كل ما هو خارج عنها لان الطبيعة الخارجية والذوات الاخرى وكل الوجود على صلة مباشرة بالذات وهذه الصلة هي جزء من الذات الشاعرة التي تجد نفسها مجبرة على الاتصال بها وادراك اسرارها، لا بل الذات الشاعرة هي في امس الحاجة الى مثل هذه المعرفة لان الشعور يثير فيها تلك الحاجة .

والمعرفة التي تبنى على الشعور العميق هي المعرفة الحقة لان الشعور انبت لها البذرة التي ستتغذى عليها وتنمو فتصبح جزءاً من الذات التي ستتمثلها . المعرفة الشاعرة ، اذن ، نمو داخلي وتمثيل وهضم ذاتي، بينما المعرفة التي لم يسبقها شعور ذاتي بالحاجة اليها تشبه بناء لاحياة فيه لانه تركيب من صخور لاحياة فيها .

فالشعور ، تلك اليقظة ، الروحية ، وذلك التململ البدائي ، هو الاساس الذي تبدأ منه الروح حياتها ، والطالب الحق هو الذي اتقدت في اعمـاقه نار الشعور — ذلك الشعور الذي يبعث القلق ويدفع بالنفس للتحرر والمعرفة الحقة .

القلق على الوجود

وقلق الذات على وجودها هو الدرجة الثانية التي يرقى اليها الطالب الحق، لان القلق على الوجود يستلزم الشعور، والشعور العميق ، بهذا الوجود . ولكن القلق يختلف عن الشعور بأنه حالة وجودية حركية، هو نار تثير كوامن النفس، وتنتزع ذلك الجزء السماوي منها، وتمزقها على مجامر الالم تاركة للارض ما للأرض من هذا الانسان المزدوج روحه ولا يمزجن بين القلق والشك : فالشك حالة عقلية سقيمة ، تتفيأ تحت ظلالها النفوس المريضة والعقول الجامحـة ، الشك في اعلى درجاته انتصار لعقل الانسان على الانسان بكليته ، ونكران لابسط المعطيات ، وسير في دوائر مفرغة . امـا القلق فيشمـل الانسان بكليته ، ويهزه من اعماقه . هو انتصار الموجود الحي وطريق الخالق المبدع . واذا كان الشعور يجعلك مدركاً للعالم ، الخارجي فالقلق يدفعك الى ارتياد مجاهل هذا العالم، هو القوة الدافعة التي تسير كل فرد الى تحقيق امكانياته في هذا العالم، والنفس لا تفنى وتحقق امكانياتها الا بالنسبة الى شدة القلق الذي ينتابها .

والقلق على الوجود الذاتي يختلف عن الخوف ايضاً اختلافاً بيناً بينه فلاسفة الوجود منذ كركجورد . فنحن نخاف من موضوع معين بينما نقلق على الوجود بكليته لتداخل العدم في هذا الوجود، ومثال عـلى ذلك القلق الممزق العميق الذي يصدر عن فكرة الموت التي تمثل العدم ، اننا نشعر بارتجافة وقشعريرة امامها لانها ترينا الحدود الاخيرة لوجودنا الشخصي ، أو لانه الموت ينازلنـا متحدياً ايانا أننا لن نحيا الا حياة واحدة محدودة . انه لا يمد الينا ازاره الشاحب ليلفنا فيه الى الابد، بل يبعث فينـا هزة صاخبة ندور على لجتها من اضطراب وثورة .

الطالب الحق، هو الذي يمر بعد الشعور بذاته وبالعالم الموضوعي

بمأساة يمكننا ان نسميها «مأساة القلق» لان الطالب الذي يشعر بذاته لن يقبل الا بالتحقق الكامل لامكانياته كلها، انه يريد ان يعرف كل شيء، ويعمل كل شيء، ويكون كل شيء.. ان الاله الكامن في اعماقه يتطلع الى الكمال، ولكن الشخص المحدود يبقى مقيداً بالارض والمادة، يبقى عبداً في مجموعه الا ذلك الجزء الذي تحرر وسما من ذاته، وحتى ذلك الجزء يرى نهايته منتصبة امامه تعزيه وتقلقه.

ان مأساة الشخصية كمأساة تلك الزهرة النضة التي تحلم بالفراشات الزاهية التي ستمر بها وقت الربيع، وتود لو انها تملك رحيقاً يكفي كل فراشات الحقل، ولكن رحيقها لا يكفي الا فراشة واحدة، فكيف تختارها! وكيف تستبق الزمن فتعرف اجملهن، ثم تتساءل: أأضحي بالفراشة الزاهية وأسلم نفسي الى نحلة تعصرني بلا رحمة لتحيل رحيقي الى شهد تخلفه للأجيال؟ ومن يدري، فقد يبعث اليها القدر دودة تمتص رحيقها الحبيب وترجع شبابها للأرض، فتمر الفراشات على الزهرة الشهيدة مترحمة آسفة.. تلك هي مأساة الشخصية التي لا تتمكن الا من تحقيق جزء صغير من امكانياتها في هذا العالم.

ولا تقتصر مهمة القلق على الناحية السلبية، بل يدفعك الى تحقيق اسمى امكانياتك واحسنها، فبينما يتوقف كل ما يعمله الشخص الذي لم يشعر بذاته ولم يقلق على وجوده على الصدف والقدر الاعمى، نرى الشخص الشاعر بذاته شعوراً عميقاً والقلق على وجوده، يسعى الى الاختيار الحر فكأنه بهذا يخلق مصيره او يوجهه على الاقل الى الوجهة التي يرتأيها.

وبتحقيق الانسان لامكانياته يصل حالة الاطمئنان الحقة.

الحرية

ولا يصبح القلق خلاقاً ايجابياً الا بامتزاجه مع الحرية، فالقلق والحرية شرطان اساسيان للمعرفة الحقة والخلق المبدع. والحرية جهاد مستمر لنبذ القيود التي تحيط الانسان من كل جهة، وهي، وان اعتمدت على الشعور بالذات والقلق على الوجود كشرطين اساسيين لتحققها، الطريق الوحيد لكل وجود حي عميق. والذات المستعبدة، سواء كان هذا الاستعباد للمجتمع او للطبيعة او لنفسها، لن تسمو على التيار الذي يجرفها معه. والطالب الحق هو الذي يجاهد دائماً للتخلص من هذه القيود واستعمال حريته بشكل ايجابي كاداة للتعبير عن ذاته وامكانياته.

والطالب، ككل فرد، ابن المجتمع وهو عبد له حتى يحاول التحرر من قيود مجتمعه. والعبودية للمجتمع هي عبودية لقيم المجتمع التي يحاول حمل الفرد على الاعتراف بها وتقديسها من طريق التربية والاجتماع والآداب العامة.

القيم في اساسها من خلق الفرد، ولكن المجتمع يحجرها ويضيف اليها على مر الزمن فاذا بها تتحول آلة لاستعباد الفرد.

والمجتمع يستعبد الفرد من ناحية اخرى، الا وهي دفع الذات الى حب السيطرة والظهور والتزعم. وما أغلب ما استعبد حب السيادة الفرد، وما اكثر عبيد المظاهر في حياتنا. ان حب الاعلان وحب الظهور والزخرفة السطحية والروح الصحفية، او بكلمة واحدة، تلك الانوثة المسيطرة على حياتنا هي احسن مظهر من مظاهر هذا الاستعباد:

اننا نلبس ما يُعجبُ الآخرين ونكتب ما يريد الناس ان نكتب ونخطب ليصفق لنا واذا بنا في دائرة مفرغة من السطحية والانحطاط. ان الطالب الحق هو الذي يحاول جهده التخلص من هذه القيود والمظاهر وتركها جانباً ليتفرغ لقيم أثبت وأبقى.

ولكن القيم التي يطلبها الطالب الحق قد تستعبده هي ايضاً، ذلك لان الذات الانسانية هي منبع القيم النهائي، وهذه القيم تبقى حية ما دامت تتدفق مرة من ينبوعها الزاخر. واندفاع الانسان وراء الخير والحق والجمال ليس ناتجاً عن وجود موضوعي لهذه القيم، بل لانها من خلقه، فهو يندفع وراءها كما تندفع الام وراء رضيعها تبذل له حياتها لينمو ويترعرع في ظلها.

وهذه القيم التي هي من خلق الانسان تدفعه الى التحرر من قيوده والتعبير عن اسمى ما فيه، ولكنها حين تنقلب على مر الزمن الى موضوعات جامدة، والفاظ جافة، ورموز ميتة، تستعبد الانسان وتطمس قواه الخلاقة. وما اكثر ما نرى اناساً يرددون الخير والحق والجمال ألفاظاً فارغة لا تلمس وراءها حيوية او تدفق! ما اكثر عبيد القيم العليا! ما اكثر ما نرى اناساً تحول الشعر والتصوير والموسيقى عندهم الى رموز جامدة فلا يشعرون بالحياة الفنية التي خلقت الفن في أزهى عصوره، ان القيم العليا، والقيم الفنية تحيا قبل ان يُعبَّر عنها، ويوم تتحول هذه القيم الى رموز جوفاء تستعبد الانسان الذي أتى بها الى الوجود. ان الطالب الحق هو الذي يحاول ان يتخلل ببصيرته الى ما وراء هذه الرموز، الى الحياة التي خلقتها فيشاركها الحياة الفنية الخصبة.

ويلاقي طالب المعرفة موانع جمة تحاول استعباده، منها الكتاب الذي يطالعه، والاستاذ الذي يدرس عليه، والجامعة التي يطلب العلم فيها. فالكتاب مثلاً وجد ليساعد الطالب على المعرفة والتجربة الحية، ولكنه وجد ايضاً لينازل الطالب ويعجزه،

والطالب الحق هو الذي يقبل هذا النزال ويحاول الارتفاع الى مستوى الكاتب. اما الذي لا يشعر بهذا النزال فغالباً ما يستعبده الكتاب فاذا هو صورة لما قرأ، وما اكثر ما نرى طلبة يرددون آراء هي لهذا الكاتب او ذاك دون ان يمروا بالتجربة الحية التي مر بها اسيادهم، ان المعرفة تتحول عند هؤلاء الى كلمات تردد وافكار تجتر، وعبد يقوم بالترديد والاجترار.

وأصفاد الاستعباد لا تأتي من الخارج دائماً، لان الذات، قبل كل شيء، مستعبدة لذاتها، لعواطفها وطبيعتها وقيمها الفردية، بل أكاد اقول ان كل استعباد هو في النهاية استعباد ذاتي، لان الانسان لا يصبح عبداً – بالمعنى الحق لهذه الكلمة – الا عندما تتأصل العبودية في اعماقه ... وقديماً قيل: ان سيد العالم هو سيد نفسه. والطالب الحق هو الذي يدرك ويعمل على التخلص من القيود الذاتية. ومصيبتنا الكبرى هي أننا لم نرتد مجاهل ذواتنا بعد لاننا لم نقلق على وجودنا. لقد أطلنا الكلام عن التحرر السياسي والاقتصادي والثقافي! ترى أما آن لنا ان نتجه قليلا الى العبودية المتأصلة في اعماقنا لنتحرر منها ؟!

والحرية أخيراً جهاد مستمر وليست منزلة نصل اليها وننام عندها في طمأنينة وارتياح، الحر هو الذي يعيش في عراك دائم مع القوى التي تحاول استعباده ... انه كالطائر الذي لا يبقى في الجو الا بحركة دائمة من جناحيه ويخر الى الثرى في اللحظة التي يقف فيها عن الحركة. الحرية من الذخائر التي لا يمكن شراؤها ووراثتها، بل هي محصلة الجهاد الدائم والعمل المخلص.

المعرفة وطريقها

الشعور العميق، والقلق على الوجود، والجهاد للتحرر من القيود، هذه هي الاسس التي تقوم عليها المعرفة الحقة التي هي هدف كل طالب حق. ولكن هذه الاجزاء الاربعة تتفاعل فيما بينها وينمي بعضها بعضاً. فالمعرفة تنمي الشعور الذاتي، وتؤجج نيران القلق وتحرر الانسان او تدفعه للتحرر، وهذا هو الذي اعطى المعرفة مكانها السامي بين غايات الانسان عامة والطالب خاصة. والمعرفة التي اقصدها في هذا المقام ليست بنت الكتب الصفراء او المنفصلة عن الوجود ... والحياة، أو العقلية المجردة. المعرفة الحقـة هي التي تنبع من الحياة في صخبها وعرامها ويتجه اليها الانسان بكليته، بعقله وضميره وارادته وعاطفته. والمعرفة بهذا المعنى ضرورة وجودية لا يمكن الاستغناء عنها أو الوقوف منها موقفاً سلبياً او موقف المتفرج اللامبالي. المعرفة الحقة ليست كتباً تقرأ ومحاضرات تسمع وافكار تردد وينتهي الامر، بل هي والوجود سواء، والنفوس التي لا تقوى على مجابهة حقيقة امحى منها والحياة فيها، فقيرة واهنة ضعيفة، انها لا تتمكن من حمل تبعات المعرفة الحقة والجهاد من أجلها، انها قعيدة كربات الحجال، تخاف الحركة وتفزع من العراك، وتتناسى واقعها، وتنام ملء جفونها على الافكار الرخيصة والتكلف المصطنع.

الطالب الحق هو الذي تتفتح ذاته لكل انواع المعرفة والتجارب الانسانية الخالدة التي تدل الذات على امكانياتها وتخرجها من محيطها الفردي الضيق، وهذ التفتح لا يعني انجراف الذات مع ما هو خارج عنها بل السمو بالذات والارتفاع بها. والشعور الذاتي والقلق والحرية تدور على محارة فارغة ان هي لم تتفاعل مع الطبيعة تفاعلاً وجودياً حياً، وتتصل بها اتصالا مباشراً، لان الاتصال المباشر هو الطريق الوحيدة لتحوي الذات الطبيعة وتشعر بجمالها وجلالها، تلك التجربة التي مثلها لنا الشعراء والقديسون في اسمى مظاهرها، والتي خلدها لنا القديس فرنسس عندما كان يتحدث عن أمه الارض وأخته الزهرة، واخيه القمر. فمباشرة الطبيعة هي الطريق الاولى للمعرفة، والطريق الثاني هو الاتصال الوجودي المبـاشر مع الذوات الاخرى، والطالب الحق هو الذي يتمكن من تجاوز الحواجز والظواهر الى اعماق الآخرين فيرى بعين العطف آراءهم ومبادئهم ولا اعني بهذا الاتصال الاجتماع المصلحي الاقتصادي او السياسي، بل التجربة الحية الشخصية التي تتمثل في الصداقة المحبة وحب الصديق، حيث تنكشف الحجب وتزول العوائق فتغنى الشخصية الانسانية بتجارب الآخرين. والصداقة والمحبة هذه يمكن ان تتسع فتحوي التجارب الانسانية الماضية والحضارات السالفة، وكم منا من وجد صديقاً له بين الماضين فقرأ ما كتب، وعـاش معه في تجربته الروحية، فغنيت ذاته واتسع افقه ؟! والتاريخ ان لم يحيي بالتجربة الحية فهو مضيعة للوقت والجهود.

والمعرفة، اخيراً، مهما تعددت طرقها، وتنوعت مناهجها يجب ان تكون مسلحة محاربة، تحاول تحقيق مثلها وتجاهد لاصلاح الواقع الفاسد، ولا شك ان معرفة كهذه تجد من المقاومة اشدها وأعنفها، ولكن المقاومة هذه دليل على حيوتها وقوتها، اما المعرفة الميتة المنفصلة عن الوجود فلن تقاوم او تناقش لان الناس مؤمنون بأنها جثة هامدة.

وقد جمعت الشخصية الانسانية في اعلى مراتبها الحياة والمعرفة في صعيد واحد، فانتزعت افكارها من وجودها وعادت تبغي اصلاح هذا الوجود الناقص والثورة عليه وخلقه من جديد. والطالب الحق هو الذي يحمل هذه الرسالة الخالدة.

محسن مهدي

حمدان البـدوي

☆

نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٣٧ والشاعر يعاني يومئذ آلاماً نفسية فكأن الاقدار أعدت بولس سلامه ليكون شاعر الألم ولكنه ألم لا بكاء فيه ولا هوان بل اباء وجمال واشراق

●

بولس سلامه

☆

سمرٌ في الرّولى* ورجع رباب ... وعشايا مخمورة وتصابي
فالاحاديث في الخيام عن الفرسان والحب والجمال السابي
ليلة طلقة تكاد بها الاوتاد تشدو على تثني القباب
فعلى السهل من حنين الصبايا ... وعلى الافق من حماس الشباب
قال شاديهم على اسم (الرولى) شعراً أثار الفرند في القرضاب
وعلى اسم الامير وابنيه فافترت على الليل نفحة الاعراب
بسطة الكف والعراقة والغضبة أشرقن من وراء نقاب
همّ بالقول عن مهاة (الرولى) عن هند فانهدت القوافي كوابي
هند بنت الامير في الباب والاعين عُلقن غصة في الباب
يلتقين اللدن الانيق من الاجسام في سكبة الظلال الرطاب
هند لولا جفونها لم تكحّل ... واحة البيد نضرة الاعشاب
لا ولا هزت الفيافي العذارى ... هينمات الصبا ورجع الرباب
تنزل الشمس تستحم بعيني هند بين الخيام والاطناب
ثم تمشي للأفق تنثر حسن العرب نثراً على حواشي الغياب
ما لحسني قالت وللفخر والفخر ... ببيض الظبي وسمر الحراب
قل على اسم الابطال شعرك ... واقطفه من النجم عالياً والسحاب
غنِّ زين الصيد (الرولى) غنِّ حمدان ... فتى السيف والندى والصواب
بطل تخفق الفتوة في خديه ... خفق الشباة فوق الرقاب
فاذا شك رمحه في المنايا ... عاد منها سنانه بخضاب
عوده أمس بالغنائم عود الضوء للصبح والشذا للروابي
ومضت في خطابها هند فالأعين حرّى التسآل حرّى الجواب
أتراها تهواه أم تتغنى ... بالفتى ساعد الاب الغلاب
كل سيف أرنّ بالغمرة الحمراء بين الضجيج والتصخاب
هو سيف احق بالبسمة الاولى ... بثغر الأميرة الخلاب
لا يطيق الحساد أعجاب هند ... فطووا ليلهم على انياب
قرأوا في الغمام رجساً وشاموا ... في كتاب الأضواء سطر معاب
بينهم كل ثعلب ألمعي ... يرسل الكذب من فم الميزاب
لفتات البغيِّ في مقلتيه ... وابتسام النخاس للطلاب
يلبس الطهر والمسوح رياء ... سائراً بالنفاق نتن الاهاب
فاذا أطبق المساء فويل ... للكروم الخضراء والأعناب
عصبة أجمعوا على حمل كفاً ... ونادوا بقسمة الأسلاب
علموا الافعوان كيف يدس السم في غفلة من الحجاب
علموه مرونة في التثني ... ودهاء في اللف والانسياب

---

* اسم وضعه الشاعر لقبيلة عربية وهي غير الرولة .

وصل الهمسُ للأمير فحرٌ   في المآقي وغضبة فى القراب
هندُ أخت النهى خليلة حمدان واحدوثة الحنا والسباب
تزعم الليل انها تقصد المرضى تواسي على الجراح الصعاب
فتلاقي العشيق تسقيه خمراً   لاهباً دافقاً على الأكواب
ما لها البيد في الرلى ، تحمل النتن الى الضوء والسماء تحابي !

سيق حمدان للقضاء فحنت   لابن عدنان شامخات الهضاب
خفت الشجو في قلوب العذارى   وارتوى بالدموع كل حجاب
سألوه هل طال عهد كما بالوصل ؟   فانجاب عن زئير مصاب
قال : وصلٌ وخيمتي سرج مهر   وعنان طلق وسمر كعاب
أنهب العمر في الغنائم والذود   وأبقي لكم ليالي الشراب
أنا صنوُ الحسام اصدأ في الغمد   فأحيا مشرداً في الطلاب
عصبة الظلم في (الرلى) ان نفسي   مزقت كبرياؤها أعصابي
حرةٌ دونها ينوء خيالي   والرهيفان عزمتي وشبابي
أنبتت عزة العروبة داري   والمروآت أخصبت في جنابي
كلما سرت للمعالي وحيداً   هتف المجد والعلى في ركابي
نَوّر النبلُ والوفاء خيامي   وأَظل الاباء شُمّ قبابي
تعب الدهر من عظيم خصالي   فروى للمكارم الغرّ ما بي
ما أنا في معارض الغنم استجدي   ولا أغلي ولا آدابي
جلّ عن ذلة السؤال مرادي   وابائي عن وقفة بالباب
هل أتاكم الا صريع هوان   أخذ الغدر عن نيوب الذئاب
واجف الوجه واجف النفس فيه   خسة الوغد واحتيال المرابي
أنتمُ وهو في الصعيد أنوف   تتلاقى دنيئة في التراب
فاتها شامخ الرؤوس فشادت   صفر أحلامها على الأذناب
وصغرتم مذلةً وهوانا   فاعتصمتم بعزة الالقاب
خنفساء والدهر أبطرها عسفاً فماست فضفاضة الاثواب
أين احراركم وكانوا أسوداً   ملء عين الامجاد والاحقاب
أقفرت من أبيّة الأنسر الاوكار والجو من منيع العقاب
عصبة الظلم عهدكم لوّث العصر فيا صفحة الحنا في الكتاب
قد أبحتم أعراضكم فاستفاق الطهر غفلاً ممزق الجلباب
كان بالامس في البوادي خدور   كلٌ عنها طرف الحنا والمعاب
تتقي الشمس لثم استارها البيضاء   خوف الظنون والارتياب
فأبحتم ساحاتها فاستفاقت   هملاً دون طارق طلاب
منهلٌ كانت الليوث تحاماه   فأضحى موالفاً للكلاب
وشجاه قيد فصاح : أعبء   وحديد يحز في الاعصاب
أقيودٌ لشاعر ووثاق   الخيال الدراكة الصياب

لخيال في دفقة الضوء يجري   وابتلال الشذا ولمع الشهاب
شاعر ألوت الغصون عليه   مائسات بالفوح والاطياب
شعره فيه من رفيف الليالي   وازدهار الرؤى وحلم الكعاب
غنّه يقبل المساء شفيقاً   ويرى البدر كرة الاسراب
في حنايا الاوداء في الاكمات   الخضر فاضت شطآنها بالضباب
يا طغاة (الرلى) ترى اي دهر   دام فيه الشراب للشرّاب
قد علوتم في غفلة الدهر فانسبتم الى الحكم شيمة السلاب
مثلما ترتقي اللصوص الى قصر منيف مشرع الابواب
حاذروا صولة الزمان اذا ما   عاد ليثاً مزمجراً في الاياب
يوم يغدو الحسن المزورُ قرحاً   وحديداً وملعباً للذباب
وتبيتون لعنة وسبابا   كلما همّ شاتم بسباب
فاذا مرّ ذكركم في شفاه   فعاوق الشجا ومرّ الصاب
يوم تغدون كالبغي تلاشت   مقلتاها في وجهها الكذاب
زعزعت لطمة السنين صباها   واستبدت بثغرها النداب
واستحالت حبائل المكر والزلفى   رماداً في كفتي نصاب
غمر البؤس جحرها فتلوت   تنشد الحظ في أكف الصحاب
فاذا صحبها على العهد بانوا   وتولوا كالزئبق الهراب
قال وافترّ ثغره بابتسام   وعلا في البعيد نعب غراب
فأحست أرض (الرلى) مثل صرح   شُدّ بالنجم ينطوي في التراب
غص سيف الجلاد حين أطلت   هند في قيدها وأجهش نابي
صرخت كاللبؤة السمحة التزآر   باهت بعزها الغلاب :
حبنا من زنابق الحقل فيه   ومن الشوق لم يبح والرغاب
مثلما يلثم النسيم الدوالي   ويحس الدرويش لمع السراب
شعره بي أرق طبعاً وأحلى   من نسيم الصبا برمضاء آب
يقطر الطهر من قوافيه والاخلاق فانزل على النعيم الرابي
نحن أهل الخدور ما طالنا الظن ولا نال موطىء الاعتاب
لم أقلها اتقاء عدلكم الباغي   ودرّاً لرحمة بشبابي
واذا تصفحون عني أأباها   وما بعده بجامي حجابي
صحت في مسمع الزمان ألوم الدهر فاهتز منصتاً لعتابي
وسمعت الزمان يرسل آهاً   بين عضّ اللمى وصرّ الناب
هو يبكي هنداً وحمدان والعدل ويبكي كأس الندامى الصحاب
والاحاديث في الخيام عن الفرسان والحب والجمال السابي
فتيقنت انه موجع مثلي شهيد ، جوابه كجوابي

بولس سلامه

جورج زمل فيلسوف الحياة

بقلم يحيى هويدي
مدرس بالمدارس الثانوية المصريه

★

كانت الفلسفة فيما قبل القرن التاسع عشر فلسفة توكيدية ذات صبغة عقلية واضحة . فالمذاهب العقلية الشامخة : مذاهب افلاطون وأرسطو وديكارت وكنت كانت جميعها شديدة الوثوق بملكة العقل الى حد بعيد . ولم تكن الفلسفات الوضعية التي قامت كرد فعل ضد المذاهب العقلية ، بأقل تعبيراً من تلك المذاهب العقلية نفسها عن الناحية العقلية التي صبغت الفلسفة حتى ذلك الحين . ذلك ان الفلسفة الوضعية — ولو انها اتجهت الى حقل التجربة ، ونادت بالاعتماد على ما تقدمه لنا الحواس وحدها وبعدم الوثوق بالمبادىء العقلية الصرفة ، فقد ظلت مع ذلك عقلية في طابعها وفي الطريق التي سلكتها في بحثها التجريبي . وبعبارة اخرى ، فان هذه المذاهب الوضعية قد أبقت على الطريقة التي اتبعتها المذاهب العقلية السابقة ، وان كانت قد غيرت ميدان البحث فجعلته التجربة بعد ان كان محصوراً في دائرة العقل وفي القوانين العقلية البحتة . وقد كان من جراء هذه النزعة العقلية ان ظهرت التصورات المادية الحركية للمادة ، واصبحت المادة خاضعة لمجموعة من القوانين ، حصرها نيوتن في قوانين الحركة .

على ان هناك ناحية اخرى أغفلها الفلاسفة حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ولم يوجهوا اليها عنايتهم . واعني بهذه الناحية الحياة نفسها . فهم قد اتجهوا في بحثهم الى العقل وحده ، وصدروا في كل اقوالهم عنه وحده . الا ان الانسان ليس عقلاً صرفاً ، انه كائن حي يتطور . والحياة تسم الانسان في كل ما يصدر عنه . أليس من الطبيعي اذن ان نوجه نظرنا في بحثنا الى هذه الناحية ، ونقلل من شأن تلك المكانة العلوية التي أنزلها الفلاسفة العقليون للعقل ؟ . . . ومن ثم كان المذهب الحيوي . وطغت التفسيرات الديناميكية للمادة على التفسيرات المادية لها ، واصبحنا نسمع حديث العلماء عن « الطاقة » و « القوة » ، ونشطت التفسيرات الحيوية في جميع فروع العلم . وكان لا بد من فلسفات حيوية تدعم هذه الآراء العلمية ، فظهرت — من ناحية — فلسفة برجسون التي صورت المادة بأنها « اتصال متحرك » ، واطاحت بذلك التصوير الجامد الذي عرضه اسبنسر للتطور اذ قالت عنه انه تطور لا يتطور لانه عقلي صرف ، واستبدلت به التطور الحي الخالق الذي لا يخضع لقوانين العقل في سيره لان له مساراً خاصاً به وحده يدعى « الديمومة » La durée . وظهرت من ناحية اخرى فلسفة جورج زمل التي سنعرض هنا خلاصة سريعة جداً لها .

***

نقول ان اصحاب المذهب الحيوي قد وجهوا نظرهم الى الحياة ، وقالوا عن الانسان انه كائن « حي » قبل ان يكون كائناً « عاقلا » . ولكن الحياة — كما يبدو لاول وهلة — ليست وقفاً على الانسان فحسب . اذ ان جميع الكائنات في المملكتين الحيوانية والنباتية تتصف بهذه الصفة : صفة الحياة . فكيف نجعل الحياة طابعاً للانسانية بينما نجدها مشتركة بين الانسان وغيره من الكائنات ؟ وهنا يقول لنا زمل ان الحياة بالمعنى العادي لها ، وكما تظهر في جميع الظواهر الحيوية التي هي موضوع لدراسة علمي البيولوجيا والنبات ، حياة دورية Cyclique وكما لو كانت توقيعاً محدداً بقوانين ثابتة معينة ، نستطيع ان نتنبأ بها ونتوقعها . وهذه الحياة — باعتبارها موضوعاً لعلم الحياة او البيولوجيا — لا يشعر بها الكائن الحي ، وليست جديرة بأن يشعر بها او يلتفت اليها لانها تستمر من تلقاء نفسها ودون انقطاع حتى الموت . وهذه الحياة يشترك فيها الانسان حقاً مع سائر الكائنات الحية . ومن الناس من لا يتعدى فهمه للحياة التي يحياها ذلك المعنى الضيق ، ولا يستطيع ان يتجاوزه

الى غيره . ولكن ليست تلك هي الحياة التي علينا ان نلتفت اليها اذ ان هناك نوعاً آخر من الحيــاة ، هي الحياة المشعور بهـــا La vie vécue ، وهي وحدها الجديرة باهتمامنا . ذلك لانها تفترض دائماً ذاتاً شاعرة تتمثل الحياة وتجدها ، وتشعر بها تمام الشعور . وهذه الحياة تفترض تقدماً مطرداً وارتقاء مستمراً بحيث يغدو من العسير على من يحيا هذه الحياة ان يرتضي لنفسه اجتياز مرحلة بعينها مرتين . اذ هي ديمومة روحية مستمرة ، وسيال متدفق من الجدة ولا تقتصر على المحافظة على الوجود الاستاتيكي Oasein للكائن العضوي ، كما هي الحال في الحياة الدورية ، بل تتجه دائماً الى زيادة درجة الحياة والى اثراء حياة الذات في جميع نواحيها من عقلية وروحية وجمالية ودينية واخلاقية .

علينا اذن ان نلتفت الى هذه الحياة المشعور بها ونجعل منها طابعاً للانسانية . وعلينا كذلك ان نقتصر على كل ما به صفات هذه الحياة ، فنزيد من اهتمامنا به ، وننزله منزلة سامية . فلو نظرنا الى ميدان التفكير مثلاً وجدنا ان هناك موقفين عامين او مظهرين من مظاهر التفكير الانساني : الموقف الايلي L'attitude éléaa-tique والموقف الهيرقليطي L'attitude héraclitique . وقد كان المظهر الاول — باستثناء بعض الشخصيات — هو السائد في التفكير الهليني ، وقد تجلى بصورة واضحة عند الفنانين والكتاب اكثر من ظهوره عند الفلاسفة في العصر القديم . وهذا المظهر يتميز بجمود التفكير فيه ، وبخضوعه خضوعاً مطلقاً للاساليب العقلية الصارمة وبعدم انحرافه عن ميدان « قوانين الفكر الضرورية » . ويتميز التفكير هنا كذلك بوضوح الغاية فيه ، وباتجاهه دائماً الى المقدمات فالنتائج . اما المظهر الثاني — المظهر الهيرقليطي — وهو الذي اشاد به زمل ، فقد كان غريباً عن الروح الهلينية ، على الرغم من ظهوره اول الامر في العصور الهلينية ولكن تحت تأثير مؤثرات شرقية . وظهر هذا الموقف واضحاً جلياً عند رجـــال العصر الرومانتيكي ، وعند جوته منهم بنوع خاص ، وظهر كذلك عند أقوى من مثّل الروح الالمانية وأعني بهما شوبنهور ونيتشه . فجوته يتعمق في الروح الانسانية الى اعمق اعماقها ، وشوبنهور ونيتشه يصدران في فلسفتيهما عن ارادة الحياة — على الرغم من انتهائهما الى نتائج متناقضة . ويتميز هذا المظهر الهيرقليطي — وقد اعتبره زمل خير مظاهر التفكير اطلاقاً — بأنه يمثل تياراً من التفكير قلقاً غامضاً ، يسعى الى غرض غير واضح تماماً ، تدفعه رغبة محمومة وتتجاذبه تيارات كثيرة ، ولا يخضع لايقاع منظم

كما هي الحال في التفكير الايلي الآلي . وزمل نفسه يمثل هذا التيار اعظم تمثيل ، فهو يصدر في كتاباته عن « وحي غامض » inspiration obscure تجاه غرض اخلاقي عقلي جمالي ديني يقع في عالم اللامتناهي ، هو المجهول . وتدفعه في ذلك ما يسميه الالمان الرغبة المحمومة Sehnsucht .

الحياة على هذا النحو التقدمي المطرد الذي يحفل دائماً بالجدة ، ويحاول قدر طاقته اغناء الذات واثرائها والتحلل من كل ما عساه أن يعرقل نمو الذات ، اقول ان الحياة على هذا النحو هي التي يجب أن نلتفت اليها . بيد أن هذا الاثراء للذات ، وهذه الدرجة العليا من الحياة عند زمل ، ليست في مكنة كل فرد أن يحياها كما أنها ليست بالأمر الهين . اذ أن دونها عقبات كثيرة . وقيام هذه العقبات نفسها ، ووقوفها حائلاً أمام التفكير الانساني لها الاثر الاكبر في وجود هذا الشعور بالحياة وفي ازدياده . ذلك ان العقل الانساني محدود من كل ناحية ، وهناك موانع كثيرة تقف دون تحقيق غايته ولكنه من ناحية اخرى قادر على تخطي هذه الحدود التي تحد من نشاطه وليس من شك في أن التفكير الانساني لن يتم بدون قيام حدود وعقبات أمام العقل ، ونحن نعرف أن التعقل منشؤه وجود مشكلة أمام العقل ، ولكنه — أي التفكير — لن يكون متصوراً من ناحية اخرى الا اذا كانت هذه الحدود وتلك العقبات من التي يستطيع الانسان اجتيازها . اعني أن التفكير يتم اذا قامت الحدود عقبة في طريق العقل من ناحية ، واذا كان العقل قادراً على أن ينفذ خلال هذه الحدود لاجتيازها من ناحية اخرى . وقيام الكون بعقباته وموانعه أمام العقل الانساني من ناحية ، وكون هذه العقبات ليست صارمة بحيث يتسنى للعقل الانساني أن يجد فيها ثغرة يتهيأ له اجتيازها من ناحية اخرى هو الذي يولّد المعرفة الانسانية أولاً ، وهو الذي يجعلنا نشعر بوجودنا ثانياً ونحيا الحياة الحقة التي يفهمها زمل . فنحن نتعالى بحياتنا دواماً ، ونحاول أن نثريها ونزيدها دون انقطاع . أتدري لماذا ؟ لاننا نحاول أن نجتاز الحدود التي تقف أمامنا ، ونحاول أن نقضي على العقبات التي تعرقل من تفكيرنا وتحد من سلوكنا ، ونسعى دائماً الى اجتيازها الى ما وراءها . بل ان مجرد تصورنا لهذه العقبات ولتلك الحدود ، وادراكنا لها تمام الادراك ، وشعورنا بأن هنـــاك حدوداً يجعلنا نعبرها وننتقل في الجانب الآخر من الحدود La conscience que nous prenons de notre limitation... nous place au dessus de la limitation وان موقف الذات من نفسها هنا ، وشعورها بأنها قادرة على تخطي العقبات ، وتأملها لهذا الموقف برهان قوي على انها قادرة

على أن تخرج من نفسها ، وتخلف نفسها وراءها ، وتتعالى . وهذا التعالي – تعالي الذات – جزء باطن في الذات نفسها ، وليس شيئاً غريباً عنها بحيث يصبح عليها أن تتطلع اليه وتجهد نفسها في الوقوف عليه .

والخلاصة أن الحياة تتجه دائماً الى أن تخلف نفسها وراءها وتتجاوز حدود نفسها . وهي تتقدم وتتطور وتستثير دواماً وهذا اما باعتبارها حياة فقط ، أو باعتبارها شيئاً اكثر من الحياة أو شيئاً آخر غير الحياة . وذلك عندما تتعالى وتسمو بنفسها في جميع ميادين القيم الحيوية على اختلاف أنواعها ، وسواء هذا أم ذاك ، فهي تبدو دائماً في حالة عدم استقرار ، وفي قلق محموم ، ولا تبدو مطلقاً في حالة رضى تام أو قنوع رتيب .

***

ما اشبه الانسان في الحياة بلاعب الشطرنج !! فاذا كان جاهلاً جهلاً مطلقاً بالنتائج التي تؤدي اليها تحركات قطعه على اللوحة فستغدو اللعبة لاغناء فيها على الاطلاق ، وكذلك اذا كان عالماً علماً مطلقاً بجميع النتائج القريبة والبعيدة التي ستؤدي اليها تحركات قطعه ، فستغدو اللعبة لاغناء فيها كذلك . ووجود هذه اللعبة ، واستشعار اللاعبين اللذة فيها قائم في تلك المعرفة – النصف . فلاعب الشطرنج نصف جاهل أو نصف عالم بالنتائج التي تؤدي اليها تحركات قطعه . وكذلك الحياة بالنسبة الى الانسان . فالانسان في الحياة يقف هذا الموقف الوسيط الذي يجعله نصف عالم او نصف جاهل . ويقول زمل في كتابه « نظرة في الحياة Lebensanchauung » : ان الانسان مخلوق وسيط أو متوسط L'homme est un être intermédiaire . اي انه يقف في الحياة موقفاً وسيطاً ، ويظل متأرجحاً هكذا بين الاطراف او النهايات حتى يصبح في حالة من التوازي en équilibre . وهذا هو ما يسمى بالنسبية Mittelstellung . وهذا الموقف الوسط الذي يقفه الانسان في حياته يصبغ تفكيره في الميدان العقلي في باب المعرفة ، ويسيطر على سلوكه في الميدان الاخلاقي وتتشبع به نظرته الجمالية في علم الجمال .

واذا كنت شاكاً في اقوال زمل هذه واذا كنت لم تقتنع بعد بما ردده من أن الانسان يقف موقفاً وسطاً في كل شيء . ويظل يتجاذبه تيار من هنا وتيار من هناك حتى يتأرجح دون أن يصل الى رأي قاطع ، ودون أن يظفر بموقف نهائي في أي ميدان ، فتعال معي نستعرض مواقف الانسان في نظرية المعرفة وفي ميادين الاخلاق والفن والدين علّك تخرج من هذا العرض وانت من اتباع زمل المتحمسين ، ومن خاصائه المؤيدين .

***

فقد كانت المعرفة ، معرفة توكيدية ، معرفة مطلقة يقينية ثابتة ، تتأثر بالذات العارفة ، واستبدلت بهذه الفكرة وجود طرفين للمعرفة : الذات العارفة ، وموضوع المعرفة ، وكان كنت هو أبرز من حمل لواء هذه الفكرة بعد أرسطو . اذ وضع طرفين للمعرفة : فمن ناحية يوجد العقل بمبادئه الاولية وشكوله القبلية ، ومن ناحية اخرى توجد التجربة . والصلة بين الاثنين قائمة على قوانين تنصب كلها على تدخل الذات ، أي أنها قوانين ذاتية قبل كل شيء . وقد اعترف زمل كما اعترف كذلك برجسون في كتابه التطور الخالق (وبرجسون فيلسوف آخر للحياة) بفضل كنت في انه وجه نظر الفيلسوف الى عدم التعلق بالاشياء ولا بالتصورات ولكن بالقوانين التي هي عبارة عن علاقات relation ولما كانت أية علاقة لا بد أن ترتبط بالعقل أو الذهن الذي يربط فهذه القوانين قوانين انسانية قبل كل شيء . ومن هنا ندرك الصلة بين المذهب الحيوي ونظرية النسبية في المعرفة او بين فلسفة الحياة التي قال بها زمل .

بيد ان زمل لم يرفض أن يصور كنت المعرفة تلك الصورة الجامدة التي تظهر واضحة جلية فيما أسماه «بالمقولات» أو « بالقوانين الثابتة للمعرفة » . وكل ما وفق اليه كنت في نظرية المعرفة ان هو الا توفيق استاتيكي لقطبي المعرفة : العقل والتجربة . في حين أننا – مع تسليمنا بوجود قطبين للمعرفة – الا أن التوفيق بينهما يجب الا يكون توفيقاً استاتيكياً conciliation statique بل يجب ان يكون توافقاً ديناميكياً combinaison dynamique وقد أفاض كنت في اظهار كيف أن الذات أو الانا الموحد يضع شكوله أو صوره العقلية في حقل التجربة . ولكنه أظهر هذه الشكول أو الصور في صورة ثابتة جامدة لا تتغير . ولم يبين أن هذه الصور والشكول تتأثر بدورها بالتجربة وبأحداثها . أعني أن كنت باظهاره أهمية الدور الذي يلعبه القطب الأولي Le pole a priori قد جعل هذا على حساب القضاء على التفكير الحي .

أما زمل ، فقد رأى أن المسألة يجب ألا ينظر اليها هذه النظرة الجامدة القائمة على ثنائية توكيدية بقيام قطب هنا وقطب هناك ، بل ان العلاقة بين هذين القطبين علاقة معقدة فيها تعقيد الحياة نفسها . ويتضح لنا من هذه العلاقة التأثير المتبادل بين قطبي المعرفة

وأن الذات العارفة وموضوع المعرفة كلاهما دالة fonction للآخر ويحدث عن اتصالها وامتزاجها تغيرات تلحق كلا منهما . وهذه التغيرات ، وذلك التبادل في التأثير سيؤدي الى تيارات من التغيرات والافعال المستمرة .

تلك نظرية زمل في المعرفة . وفيها يتضح ان زمل قد رأى ان مصدر المعرفة قائم لا في الذات وحدها وليس ينبع كذلك من حقل التجربة وحدها ، بل ان مصدر المعرفة قائم في التأثير المتبادل بين القطبين . وليس ثمة شيء حق الا الحياة نفسها بتيارها الخصب التقدمي الحافل بالتغيرات المستمرة ، وبالتأثيرات التي لا تنقطع .

***

وقد طبق نفس هذه النظرة النسبية في ميدان الاخلاق . فقد كانت نظريته في الاخلاق رد فعل ضد نظرة كنت الى هذا العلم . فالمبادىء الاولية التي عزلها كنت قد بدت في ميدان الاخلاق على أنها مبادىء مثالية آمرة ومتعالية ، ولكن زمل أصر على ليونة الصور الاخلاقية La plasticité des formes morales . وبدت الاخلاق الحقة في نظره توفيقاً بين ميتافيزيقا المبادىء والصور المجردة (اخلاق كنت) ، وبين علم وضعي للموضوعات الاخلاقية الجزئية (علم الاخلاق الوضعي) .

***

وكذلك الحال في الحياة الدينية . فان الحياة الدينية — شأنها في ذلك شأن الحياة الاخلاقية والحياة العقلية — لها صور تتمثل في اتجاه أو ميل الى الاعتقاد Glaeubigkeit . وهذا الميل الى الاعتقاد سابق على كل دين وضعي ، ويتمثل في تلك الحاجة الدينية ce besoin réligieux التي يشعر بها المرء تجاه التدين . ولكن توجد في الجانب الآخر الحقيقة الدينية الموضوعية المتعالية على حياتنا الانسانية ، وتتمثل في وجود الله . فالرجل المتدين عند زمل يجد الله في نفسه وفي خارج نفسه معاً . فليس التدين مجرد وهم ذاتي خالص ، وادعاء باطني محض كما يذهب اللادينيون المتطرفون ، وهو ليس كذلك حقيقة متعاليه موضوعية فقط كما يذهب التوكيديون الرسميون ، بل هو بين بين . ان الدين قبل كل شيء موقف باطني للنفس ein inners Verhalten der Seele ولكنه بالاضافة الى ذلك اعتقاد بوجود الله باعتباره حقيقة موضوعية متعالية .

***

واذا كانت الفلسفة عند زمل — كما رأينا ذلك من قبل في نظرية المعرفة — وسطاً بين المعرفة المطلقة والجهل المطلق ، واذا كان العشق كما قال افلاطون وسطاً بين التملك وعدمه لان العاشق اذا تملك معشوقته لم يعد هناك مجال للحب ، كما انها اذا كانت بعيدة المنال عنه اطلاقا لم يعد هناك مجال للحب ايضاً ، فكذلك الحال في الفن . فالعمل الفني ليس الا توافقاً ديناميكياً بين الصورة والمضمون La forme et le contenu . فهو وسط بين الذاتية الخالصة (التي تتمثل في افكار الفنان) وبين الموضوعية الخالصة (التي تتمثل فيما ينقل عنه الفنان) . فالقيمة الفنية الجمالية هي عبارة عن مرحلة وسطى ، فيها تصل الموضوعية الى اعلى درجات استقلالها وتشوبها في الوقت ذاته عناصر ذاتية ، وتصل كذلك الذاتية او حياة الذات الى اقل درجات توترها تشوبها في الوقت نفسه عناصر موضوعية . والحقيقة هنا — كما هي الحال دائما عند زمل — قائمة في حالة وسطى بين مطلقين او طرفين : الذات والموضوع . وهي ليست الا تأثيراً متبادلاً بين هذين الطرفين . والعبقري هو ذلك الشخص الذي يحيا ويتنفس في هذا الجو الذي يتحقق فيه التوازن بين الذات والعمل الفني ، ويستمتع بلذة علوية جمالية في تحقيق الانسجام بينهما .

***

حقا ان الانسان الكائن متوسط . انه يظل واقفاً هكذا بين الاطراف ، وملتزماً تلك المرتبة الوسطى دون ان يتجاوزها الى غيرها . وهو يفعل هذا في كل ميدان : فهو في ميدان المعرفة نصف عالم او نصف جاهل لان مصدر المعرفة قائم لا في الذات وحدها ، ولا في الموضوع (اي التجربة) وحده ، بل ان المعرفة تتم عن طريق التأثير المتبادل بين قطبي المعرفة . وهو كذلك في حياته الاخلاقية ، وفي حياته الدينية لان التدين هو موقف باطني للنفس من ناحية ، وهو اعتقاد بوجود الله باعتباره حقيقة موضوعية متعالية من ناحية اخرى . وهو ايضاً في حياته الفنية يوفق بين الصورة والمضمون . والحقيقة هنا ليست الا توفيقاً بين الذاتية الخالصة التي تتمثل في افكار الفنان ، وبين الموضوعية الخالصة التي تتمثل فيما ينقل عنه الفنان . وقد اراد زمل هذا التوفيق الدائم بين الناحيتين الذاتية والموضوعية ، بل وقصد اليه قصداً ، لانه لم يشأ ان يصور الحقيقة في اي ميدان من ميادينها تصويراً جامداً ، بل أراد ان تكون صاحبة بالتأثيرات المتبادلة المختلفة صخب الحياة نفسها ، ولم يحاول ان يقدم صورة ثابتة لاية قيمة من القيم ، لان الثبات والجمود ليس من طابع الحياة بل من طابع العقل الذي

ثار عليه . وبعد ، أليس هو فيلسوف الحياة ! !

ولو تركنا هذه الميادين جانبا لننظر في جوهر الحياة الانسانية نفسها مع صلتها بالموت ، لوجدنا ان الامر هنا لا يتغير عما سبق ان رأيناه . فالحياة الانسانية محددة في الزمان بحد الموت . ونظرة واحدة الى الحياة في مجموعها مع علاقتها بالموت تجعلنا على يقين تام بأن « المرتبة الوسطى » التي جعلناها سمة للانسان في ميادين المعرفة والاخلاق والدين والفن ، سنجدها كذلك واضحة تمام الوضوح هنا . فالحياة لن تكون متصورة اذا كنا عالمين — من ناحية — بتاريخ موتنا وفنائنا ، أو — من ناحية اخرى — اذا كنا على علم بأننا مخلدون لن نموت . ووجودنا ليس متصوراً ولا محتملا الا لاننا نعرف أننا قانون مكتوب علينا الفناء من ناحية، ولاننا نجهل من ناحية اخرى تاريخ وفاتنا Notre existence n'est supportable que parce que nous savons le fait de la mort et que nous ignorons sa date وهذه المعرفة النصف ، يشوبها هذا الجهل النصف هي الباعث الحقيقي لنا لكي نعمل وننتج في الحياة . وعلى ذلك يجب أن نتصور الموت لا باعتباره حدا أو عائقاً للحياة آتياً لها من الخارج ، ومنافياً لطبيعتها ، بل يجب ان نتصوره — على الرغم مما بينه وبين الحياة من تناقض مادي باعتبار انه سلب للحياة — باعتباره عنصراً ضرورياً من عناصر الحياة . وهو باطن في الحياة . وليس غريباً عنها . فالحياة تحتوي على عنصرها المضاد او بعبارة اخرى — الحياة تشتمل على سالبها . وكلاهما يتحد بتركيب لا قبل للعقل الانساني المحلل ان يصل الى اجزائه .

فمن الخطأ اذن أن نتصور الموت على أنه قاطع لتيار الحياة المتصل . فاذا ماتت شخصية من الشخصيات في رواية من روايات شكسبير ، ولنضرب مثلا لهذا بهملت ، نجدها تموت موتاً اراديا . ونجد كذلك أن موتها لم يكن نتيجة صدفة خارجية ، بل ان الموت في هذه الحالة يكون مهيئاً وداخلا في طبيعة وتركيب ومصير هذه الشخصية . واذا كانت تعبيرات زمل هنا قوية الى حد ما ، فان هذا ليس الا ليظهر أن الموت ليس ينبغي أن نخشاه ، ولكي يقلل من خوف الموت الذي يسيطر على معظم الاحياء .

وأغلب الظن أن مصدر هذه الاقوال كلها عند زمل هو كيسرلنج Keyserling الذي وضع لبان الرومانتيزم واشرب روحها . فان الحياة — كما يقول كيسرلنج — لا توجد الا بالقدر الذي تجري به ، أي بالقدر الذي تتحرك وتستهلك به ، أي بالقدر الذي تتلاشى به . والحياة تمتص وتستهلك — أي نقترب من الموت — كلما أصبحت حياة حافلة خصبة ذات قيمة . والحياة القوية الثرة الفنية الحافلة تتركز — الى حد بعيد — في لحظة الموت . فكما أن الانسجام الموسيقي لا يدق أي لا يصل الى اعلى درجاته الا عند نقطة الاورج Le point d'orgue أي في اللحظة التي تنتشر فيها الموجات الصوتية وتضعف — بسعة المساحة التي تنتشر فيهـا — كذلك هي الحياة : لا ترقى الى اعلى درجاتها الا اذا وصلت الى هذه النقطة : نقطة الاورج . ان الحياة ابتداء من اللحظة التي تولد فيها ، لا تصل الى أرقى لحظاتها ، والى أحفل أوقاتها واكثرها توتراً وشدة الا في اللحظة التي تعظم فيها الحياة عظمة تقربها من الموت .

ولكن اتدري لم نموت ؟ انها المأساة يا صديقي . وقد بدأت هذه المأساة منذ وجد « الافراد » على ظهر الوجود . ان الحيـاة باعتبارها تيـاراً متصلا ، وسيالا مستمراً تتجمد في أفراد فانين مقفلين على انفسهم ، يقللون بفرديتهم تلك من « حيوية » الحياة ، ويجمدونها ، ويفقدونها كثيراً من ثرائها . ان المأساة حقا هي في أن الحيـاة ليست معروفة الا على صورة « ذات » أو « شخص » محدد من المكان ، مرهون بزمـان معين . ولكن تلك الحياة السجينة — أي الحياة باعتبارها محصورة في الذات الضيقة المحدودة — تنزع الى تحطيم هذه الاغلال ، والى التعالي على تلك الفردانية القاتلة وهي بهذا كله ، تصبح حياة حافلة ثرة غنية ، وتقترب رويدا رويدا من « نقطة الاورج » ، وما تلبث أن تقع في المصير المحتوم الذي يحيط بها ، ويشهد النظارة خاتمة المأساة ، وتقفل الدائرة بالموت .

ايها الانسان ! هذا حالك بين يديك . فاجعل من حياتك حياة ثرة حافلة ، لكي تحيا الحياة الحقة ، ولكي تشعر حقاً بانك حي ، ولكي تصبح الحياة جديرة بأن تشعر بها . ولاتلق بالا الا الى الحياة نفسها ، فهي الحقيقة ولا حقيقة سواها . وابتعد عن كل ما يفقد حياتك صخبها وتنوعها وتجددها لكي تنأى بذلك عن جمود العقل وثباته . ولا تحاول أن تجعل من حياتك جحيما بخشيتك من الموت . اذ الموت ضروري للحياة ، ووجودنا ليس في ذاته محتملا الا لاننا نعرف أننا سنموت ، والحياة لا توجد الا بالقدر الذي تجري به ، وتستهلك ، وتمتص . والموت على هذا النحو ليس الا من وسائل الحياة الحافلة المجيدة . فلا تخشه .

القاهرة

يحيى هويدي

الدخلي

هذه القصيدة للشاعر الاسباني خون
منويل منشادو Manuel Mochado
الذي بح من فرط تغنيه بمجد العرب
في الاندلس، ومنذ اشهر قليلة سكت
عن الغناء الى الابد . . .

☆

ترجمة نجيب ابو ملهم

طنجة — مراكش

مثل الاقوام الذين لارضي قد جاؤا
— انا من السلالة العربية الصديقة القديمة
للشمس —
الذين غنموا كل شيء وخسروا كل شيء ،
نفسي من النردس العربي الاسباني . . . .
لقد ماتت ارادتي في ليلة مقمرة

حيث كان يحلو ويحلو جداً عدم التفكير والحب . . .
فغايتي المثلى ان اضجع دون ما
مأرب . .
من حين لآخر قبلة واسم امرأة
في نفسي ، شقيقة العشية ، لا وجود للحدود . . .
والزهرة التي ترمز الى وجود ، زهرة تلد في
ارض مجهولة ،
زهرة عديمة الشكل والرائحة واللون . . .
قبلات . غير ان عدم اعطائها ! عزّ . . . العز الذي
لي في ذمتهم !
لتجيء بي الامواج ولتذهب بي الامواج
وان لا يحملوني قسراً على اختيار الطريق .
طموح ! مفقود عندي
حبٌ ! لم اشعر به
لم اتلهب قط في نيران الايمان لا ولا الجميل
لقد كان لي غبطة للفن . . . فها انا قد اضعتها .
فلا الرذيلة تغريني ولا انا للفضيلة
بعابد .
ما تيسر لامرئ قط ، الشك بعلو محتدي
فالاناقة وعلو الكعب لا يكسبان
وانما يورثان . . .
غير ان اسم الدار ولقب شارة الشرف،
سحابة شفافة تكسف شمساً من شموس الغيث .
لا اطلب منكم شيئاً . لا احبكم ولا امقتكم
فدعوني وشأني .
وما افعله من اجلكم امكنكم ان تصنعوه
من اجلي . .
لتتجشم الحياة نفسها ، مشقة قتلي
حيث انني لم اعد اكلف نفسي البقاء . . .
لقد ماتت ارادتي في ليلة مقمرة
حيث كان يحلو ويحلو جداً عدم التفكير
والحب . . .
من حين لآخر قبلة دون ما امل ،
القبلة السمحاء التي لا ينبغي
علي ان اردها . .

شم النسيم

قصة

بقلم السيدة وداد سكاكيني

اغفت العيون بدمر ليلة عيد الربيع ، على احلام المرح الذي كان يفصلها عن دنيا تحقيقه ساعــات حتى ينجلي الصباح، وكان الحلم الرفاف يطوف بعينين جميلتين فيصور لصاحبتهما اللعوب غداتها المرحة التي كانت تنتظرها منذ فاتتهـا في العام الماضي ، فلمـا أصبحت نهضت الى النافذة المشرقة على النيل ، ففتحتها لتشم نسيم البكور الذي سرى الى روحهـا وجوانحها ، فمسها برقته ، وصافح خديها وهزها، وكانت نظراتها الاولى وهي تقع على النخيل السامق، تحية الصباح لهذه الأعمدة الفرعونية الحية التي تزين ابداً ضفاف النيل .

هبت صفية بعد فترة كمن ينتظرها قطار السفر، فملأت الحقيبة والسلة من طعام اليوم الموعود ، وجاءت بسفط صغير ، وضعت فيه فاكهة وحلوى مما يحب زوجها ، فتجمع لديها اكوام من لفائف الورق الى جانب المقاعد المنطوية .

كانت وهي تهيئ هذه الاشياء ينطلق بها الفكر الى آفاق بعيدة خلف زوجهـا ، فكانت يدهـا تجمد عـلى هذه الذكرى، ويأخذها الذهول وهي تمسك بمنديل أو متاع تحشره في آخر السفط الذي كان بين يديها .

كان فكرها مثل عصفور هادىء بنى عشه في رأسها من نسج السنين القريبة و كلما عن له الماضي طار نحوه على غصونه الاولى ، وقد انطلق في تلك الساعة ممعناً في تدويمه وغاب طويلا ، فلبثت يدها جامدة بأشيائها فوق السفط ، ولو لم تباغتها الخادمة عجلى تعلمها أن سيدها قد أعد كل شيء . وهو في انتظارها لما ارتدت الى نفسها الشاردة هاتفة بتلك الخواطر التي حلقت في سمائها الغائبة .

لقد هيأت صفية كل ذلك بيديها ، ولم يكن للخادم الا أن يأتي بالسيارة للركوب ، ويمضي في ركبها؟ وكان زوجها يعجب لاستمساكهـا بيوم شم النسيم مستخفاً بهذه الاعياد الشعبية التي ما تزال صفية تحتفل بها ، وتتشوف اليها بشوق ولهفة، وخاصة عيد شم النسيم، فقد كانت تعلل النفس بانطلاقها فيه لا يلهيها عنه أي لهو ، فاذا فاتها ولم تحتفل به باتت آسفة كاسفة اذ كانت عـلى الرغم من رفاهة عيشهـا تحس أن هذا العيش المرفه الموفور ، قد أسر نفسها منذ تزوجت ، وضيق عليها مراح الحياة الذي كانت تألفه وهي فتاة من عامة الشعب .

كانت صفية كالنسيم في الرقة والهفهفة ، بل مثل زهرة متأرجة للشميم ، وكأن شم النسيم كلمتان خلقتا للتعبير عن معانيها ، ولعل حبها لهذا اليوم الموعود هو صدى تألقها في هجمة الربيع ، على أن هذا اليوم كاد يحدث في بيتها خلافاً و كدراً، فان زوجها عبد التواب أبى عليها وهو ذو نعمة حديثة أن تختـار حديقة « الاورمان » منبسطاً لها في ذلك النهار ، فاقترح عليها أن يذهب بها الى متنزه في المعـادي او الى حديقة في شارع الاهرام أو في اية بقعة مرتفعة عن أفق الشعب وانطلاقه في يوم شم النسيم، فتأبت صفية وعيرته بتلة وفائه لتلك البيئات التي نشأ فيها وتفتح شبابه في مراتعها ، ثم لما واتاه الحظ ترفع عنها ، وتأنف منها ومن اهليها ، فأذعن لرغبتها على مضض ولولا انه يخشى أن تحرد وأن يطول حردها ، لامتنع عليها وجافاهـا ، لكنه اصطنع اللين والموادعة ابقاء على ودها ورضاها .

ولم تكد الشمس تملأ ارض القاهرة حتى كانت صفية وزوجها وخادمهما في بهوة الاورمان بين ألوف مؤلفة من الشعب والدهماء بين شيوخ وشبان وفتيات وفتيان ومربيات وولدان اقتحموا هذه الحديقة العامة وقد جاؤوها من الاحياء القريبة والبعيدة وزاحموا حتى بلغوا فسحة فيها او فراغاً في بعض جنباتها .

كان من تعلات صفية لزوجها في ارتياد الاورمان دون غيرها من الحدائق العامة انها تحب ان تجد نفسها وسط الصورة التي ألفتها وهي صغيرة، ثم انتزعها الزواج منها كما ينتزع الطفل من صدر امه ولم يكن زوجها يدرك سر ولعها بشم النسيم، وليس له ان يؤول او يعلل ذلك الا بما يقوم في نفس كل مصرية مرحة مثلها، تبتغي الانطلاق فى حضن الطبيعة والاستمتاع بجمال الربيع مجاراة لغيرها ممن ينتظرون ذلك اليوم، وما يدريه بما في الدخيلة والاعماق تحت أطباق الماضي من دفائن الاسرار ، ولو تكشف له الستار عن طوايا نفسها لرأى فيها صفية قبل أن يتزوج بها ببضع سنين، وكانت

في ريعان الصبا ملفوفة بملاءتها الشعبية السوداء ، وقد زينت رأسها بعصابة مزخرفة ، ومن تحتها نصبت قصبة مذهبة على أرنبة أنفها وأسدلت على وجهها برقعاً من الحرير جعلته تحت عينيها ، وتركت هاتين العينين السوداوين تلعبان بألباب الشباب من اهل الحي الذي كانت تسكنه عند مسجد « سيدنا الحسين » ولا بصرها زوجها عبد التواب تغدو وتروح الى بائع ضاحك الاسارير والفتوة ، كانت تطيل الوقوف ببابه ، ويطيل اليها التطلع والابتسام ، فاتصلت بينهما مودة متحفظة ، وكان لقاؤهما فيه حذر وحيطة ، حتى جمعها شم النسيم في يومه المشهود ، وكان يوماً حافلا بألوان المتعة والمرح ، تفتحت فيه نفسها للحياة ، وراح صاحبها « عطوه » يحدثها عن مستقبله وآماله ، ويزيد لها الهوى والشباب ، فاستغرق في غمار القاصفين والعابثين في تلك الحديقة المترامية الاطراف ، الغاصة بالناس ، غير أن القدر حال بينهما بعد ذاك اليوم فانقلب البائع « عطوه » على بغتة الى اهله في الصعيد ، ولم تعلم صفية عنه شيئاً ، لكنها بقيت بعده شهوراً تُرعى صورته وتصحب خياله ، حتى تطاولت عليها الايام وتلاعبت بنفسها الظنون والاوهام ، فأخذت تقلص احلامها وآمالها ويدب اليها اليأس من عودة فتاها ، فتزوجت بعد انقطاعه بعامين ، وكان شم النسيم يذكرها به وبالحي الذي عرفته فيه ، ويردها الى ذلك اليوم السعيد الذي تفتح فيه قلبها كما تتفتح البراعم لتالق الازاهير ثم لفها الفراق ، فذوت وانطوت ، الى غير لقاء مجهولة المصير .

كان أكثر الناس يوم شم النسيم فرحين مرحين ، وكأن الزمان أطلقهم من السجون وفتح لهم عن الحديد والقيود ، فانفلتوا في رحاب الاورمان وفي حديقة الحيوان وغيرهما من المتنزهات والفسحات ، مستبيحين لأنفسهم من أفانين المرح ما لا يستباح في غير ذلك اليوم .

كانوا بالامس يضطربون ويمضون فيما ألفوا من كد وكدح أو بسطة وراحة مثلما يمضي الانسان المعتدل لا يلفت اليه نظرة أو اشارة ، لكنهم في يوم شم النسيم أقبلوا على اللهو والقصف متخففين من كل جد ووقار ، منعتقين من رق التكاليف ، وكأنهم ينتقمون من عام كامل بيوم واحد ، وقد جلسوا أفواجاً وأشتاتاً ، وبسط كل فريق طعامه وشرابه وافترش أكثرهم الاعشاب متعدين حدود المنع ، ووقف الجنائنيون مكتوفي الايدي لا يستطيعون على الناس صداً ولا رداً ، فأصبح الزهر تدوسها الاقدام ومغارس الزهر يعبث بها الولدان والصبيان ، والعشب النضير الذي طاله الندى وارتفعت سباله نحو السماء ، رقد تحت النعال لاصق الاغصان بالتراب .

لقد غدا كل زرع في الحديقة رهن جثمة الخطر من رهو الناس وكأنها معركة لهو وطرب ، وسباق عبث ومرح ، والزهر والاعشاب على الارض ضحاياها ، واصحاب المعركة كانوا يتزاحمون بجلاليبهم السابغة وبأيديهم العصي الدقاق أو النبابيت الغلاظ وقد تخففوا من نعالهم فتخطروا وداروا في أرجاء الحديقة حفاة الاقدام ، كل شرذمة تتبع شرذمة وهم في فورة من الغبطة والمرح .

واشتد غناؤهم صافقين بأكفهم ، خافقين بعصيهم ، وكانت احب اغانيهم : يا بو العيون السود ، ياللي جمالك زين . . .

وخطرت صفية منذ دخولها الى الحديقة في اطراف الحديقة ، منفلتة من سرب الى سرب وفيهم الرجال والنساء ، تتجاوب اغانيهم الشعبية فيقع صداها في سمعها ونفسها ، ويردها هذا الصدى الى ماضيها وذكرياته ، لقد مشت وهي سابحة في خواطرها وكأن ذلك الماضي كان يمشي على اثرها ويلاحقها حتى انتهت الى مجلس زوجها في ظل ظليل ، فرأته ينتظرها وينظر الى هذه الافواج جاثمة على الارض متأهبة للطعام ، وكان في نظره العتاب ، لأنها ورطته في جلسة لا يجد فيها الانسياق لهذا الحشد العامي الذي ترفع عنه وتحاشاه .

بلغت صفية مجلس زوجها لا تبالي غيظه وعتابه ، فخلعت نعليها وتبدلت كنبات الى الشعبيات ، ثم اقتعدت على العشب كظيمة تتبرد بطراوة الثرى الرطيب ، وجعلت تقلب الطرف في هذه الاسراب الحاشدة التي جاء اكثرها من الاحياء البلدية البعيدة فزحموا الشجر كثرة وعدداً ، وسدوا منافذ الدروب في الحديقة ، وحين ألح عليهم الجوع فتحوا عن زادهم وبسطوا طعامهم ، وكان فيه السمك القديد والبيض المسلوق والبصل الاخضر ، فكانوا يلتهمونه ضاحكين ، ويجرعون من «الكازوزه» او بعض الشراب متمازحين عابثين ، ولم يتحرج بعضهم من احتساء الخمر ، حتى غالبت رائحة السمك والبصل طيب الزهر في الحديقة ، وغدا جوها يوم شم النسيم عابقاً بريح من أضغاث الأكول .

تلتفت صفية الى هذا الحشد الشعبي الذي تجنى عليه الزمان بالشظف والحرمان ، ولكنه طرح الكد والكدح في هذا اليوم المشهود ، ليسري عنه في شم النسيم ، ويستمتع بطعامه الخاص الذي لا يفضل عليه اشهى طعام ، فرأت نفسها حيث كانت تلهو في طفولتها وتمضي في صباها الى ما تمضي به صواحبها من مرح وطرب ، واستطاعت بالتدلل والدعابة ان ترد زوجها الى بشاشته ورضاه ، ثم بسطت بين يديه طعام الغداء ، وفيه الفطائر والسمك المقدد ، فكانت تنشق بخياشيمها رائحته وتقول :

— كل يا عبدو ، آه ما ألذ « الفسيخ » .

ولم يكن عبد التواب ليخالفها في هذه الرائحة التي كانت شهية الى نفسه فنسي غيظه وأكب عـلى السمك يلتهمه بنهم ، يجرع بعد كل لقمة حسوة من الخمر ، وكأنما هو وغيره من المترفين والقاصفين يوم شم النسيم كانوا في نجوة من مؤاخذة القانون والدين اما صفية فقد غضت عن شرابه طرفها ، مكتفية بشرابها الحلال السائغ الذي جاءت به لترطيب الجوف وبل الريق بعد ذلك الطعام الحريف ، وكانت بين لحظة ولحظة تطوف بخاطرها الذكريات فتغص عليها ، ويخلصها الشراب من غصتها بلوعة وحرقة ، فيا لوقد سمك قديد ، يطفئه في الحشا الحران ماء من نار ، عجباً ايوضع النفط على الوقود ؟ يا لمرح الانسان ! انه ليرقص اذا جمح في طربه ويطرح الجد والوقار كلما اخذته النشوة والهزة ، فيمضي كجواد جامح افلت قياده او القي اللجام على غاربه .

لقد اسلس قياد عبد التواب بعد الطعام والشراب ، فافترت اساريره وساير زوجته في مرحها ومزحها ، ضاحكاً لغنائها الذي كانت تحاكي به هؤلاء الفتيان الذين كانوا يتعـابثون ، ويرمون الفتيات والغرائر بشواظ من الالحاظ الغامزة والالفاظ اللامزة ، ولم تلبث ان نهضت وخطرت امام زوجها متربحة العطفين حافية القدمين بادية الساقين ثم دارت بين الناس وعادت تميد مضطربة ، وقد فتر مزاحها وطاف بروحها طائف الذكرى ، ورفرفت هذه الروح في عالمها الذي الفته في صغرها وفقرها ، وكانت ترتد اليه يوماً واحداً في كل عام ، لا يصرفها عنه شيء ، فجعلت تنظر برفق وحنان الى هؤلاء الفقراء من الدهماء الذين تزاحموا بالحديقة واندسوا بين الناس يلتمسون ما يسد رمقهم وقد الح عليهم الجوع والظمأ ، وشد ما راع صفية ان ترى بينهم وجهاً تبينته بدقة وفطنة ، فاذا هو فتاها الاول يرمقها بطرف عينه ، ويجنبه امرأة كأنما خلقت له اماً ، وقد احاط الاثنان بأطفال ثلاثة يلمون فضلات الطعام ، فلما مروا بصفية وزوجها بهتت صفية وصاح فيهم عبد التواب منكراً الحاح الاطفال وصياحهم وجمود الابوين اللذين كانا لا يباليـان انكاراً ولا انتهاراً ، فريعت صفية وانتفض فيها الماضي ، لكنها تماسكت من خوف ، وتربد وجهها وعقد الدهش لسانها ، فعجب زوجها لما بدر منها كيف صدته عن انتهار هؤلاء الذين جلسوا بقربهم يتطلعون اليهم بوقـاح وفضول ، وكان عبد التواب لا يدري وراء نظراتهم من خفايا ، فلاطف زوجته وكف عن مهانة المساكين الذي تركوا مكانهم وتغلغلوا في غمار الناس .

وضاقت صفية بحيرتها اذ تلفتت فرأت فتاها يشق طريقه مع زوجته وأطفاله وسط الجماهير فاستأذنت من زوجها بأن تذهب لبعض شأنها في الحديقة ومشت مجهودة ذاهلة ، تحدق في افواج الناس الذين هموا بالانصراف .

كانت بينها وبين نفسها تتسائل عن الجهة التي سلكها فتاها المسكين ، وكان قلبها يحدثها بأنه عرفها ، اذ كان يحدق فيهـا ويرمقها بابتسامة حزينة ، وزادها وجداً وكمداً أنه توارى حياء وخوفاً من زوجها الذي نهره وزجره عن الجلوس بقربهم فمضى مطأطىء الرأس متوغلاً في الزحام حتى غاب في ألوف من أمثاله .

وعادت صفية الى مجلس زوجها شاحبة الوجه مضطربة البال ، فأقنعها زوجها بالانصراف الى ملهى في الجيزة أو الرجوع الى البيت حتى وقفت تنتظر وتنظر الى هذا الحشد الزاحف ذاهلة كالمجنونة ولم يردها من ذهولها غير صوت زوجها يدعوها للسيارة .

كانت زوجها شاردة وعيناها موصولتين بهذه المراكب الشعبية ، « كارو » التي ازدحمت بأفواج المنصرفين من الحديقة ، وكانت الحمير التي تجر المراكب تبدي في أول سيرها حرناً وعنتاً ، ولكنها لم تكد تسمع الغناء من فوق ظهورها ومن خلفها وتحس رقص الرجال والنساء حتى أسلس قيادها وأخذت تجر اثقالها خانعة وئيدة .

ولم يفتر مرح الرجال فكانوا في دربهم ضاحكين مصفقين ، وغنت النسوة في العربات ناقرات بالدفوف مزغردات كأنهن في الاعراس ، وفيهن صبايا محزمات البطون معصوبات الرؤوس كن يرقصن وهن وقوف على ظهور المركبات المثقلات .

ولكم تمنت صفية أن تعود الى بيتها مشياً ، فقد تخطي بالرجل المسكين الذي خزاه زوجها فتوارى من خجله ، وزاد في حسرتها عليه أنها رأته في سمة لم يكن فيها على نضارة الشباب التي فتنتها على عهدها به ، ولم يكن هذا العهد بعيداً ، وكانت المامته المفاجئة كافية على قصرها لأن تفسر لها ما يمكن أن يكون قد لقيه هذا من بؤس وآلام ، وأخذتها أقاويل نفسها وظنونها ، فحسبت أن لحبها يداً في هذا المصير .

وما انتهت صفية الى بيتها حتى ارتمت على مقعد في حجرتها تفكر في هذا الاتفـاق العجيب الذي هيأه القدر في حديقة الاورمان ، وتدافعت الذكريات الى خاطرها وقد ردها الخيال الى ما خلفت وراءها من صور ماضيها وما ألم بهـا بعد فراق فتاها ، فنازعتها نفسها لكي تلحق بالناس لعلها تجده بينهم ، لكن عقلها كان يردها ويصدها فيتجاذبها التردد والتخمين .

وكان هتاف الجماهير في عودتهم الى بيوتهم واحيائهم ، يغلبها على أمرها ، فقامت من مقعدها واطلت من النافذة على الطريق تنظر بقلق ووجوم الى هذه المركبات البلدية التي غصت بالرجال والنساء والاطفال .

كانوا يغنون ويضحكون، وقد وضع بعضهم الطراطير الملونة على رؤوسهم ، ولوحوا بعصيهم متشابكين بأيديهم ، مترنمين في رقصهم ، فانصب نظر صفية عليهم ، وكانت تتمنى ان لو واتتها هذه النزهة فجمعتها بفتاها الاول ، الذي طلع عليها كهلاً قبل اوانه وفي ازرى جلباب ، وبينما هى مأخوذة البال بهذا التمني الفائت مر موكب آخر وقع طرفها عليه ، وتبينت فيه صاحبها في جلسة كئيبة ، على حين كان كل من في الركب هاتفاً او مترنماً .

قعد المسكين ورأسه بين يديه ، كأنما كان يبحث في صدغيه عن ذكرى بعيدة مرت به شاردة ثم امعنت في المغيب ، ولعله كان في عالم آخر ملي. بأحزانه المنطوية وآلامه الدفينة، فكان لا يسمع تلك الاهازيج التي ضج بها الشارع وقد أحاط به أطفاله وزوجته ذاهلا عنهم وعن الركب كله ، فلما لمحته صفية من بعيد احست ان روحها قد ضاقت بها وهزها اشفاق عليه أحال شعورها القديم الذي أيقظه شم النسيم الى رحمة ورثاء ، فودت لو قفزت اليه من النافذة ولحقت به لتحسن اليه والى اطفاله المساكين ، ولكنه غاب عنها والف ركبه منعطفات الدروب ، فأدركتها حيرة شككت رجليها وبلبلت رأيها وزادها ارتباكاً ان رأت نفسها في مباذل البيت ، وكان زوجها عبد التواب قد عاد من زورة قريبة ، فناداها ودعاها اليه ، فثابت الى نفسها وانجابت عن ضميرها غشاوة ، فراحت تؤنب نفسها وتنحي عليها باللوم والعتاب ، اذ لو أطاعتها فيما نازعتها اليه لكان فيه اضطراب حياتها او خراب بيتها ومضت بعد هنيهات نحو زوجها فاترة الطرف بادية الوجوم ولما وقفت بجنبه هش لها وافتر مبسمه، وجعل يعاتبها برفق واشفاق على تضية النهار ، بين زحمة غاشمة ليس فيها الا الهذر والابتذال ، فكانت تحس في تلك الفترة وهي بين يديه ان روحها قد خفت وتعرت من اثقال الماضي الذي ارهقها بذكرياته وهواجسه ، فقطعت له عهداً بالطوع واللين والترفع عن دنيا العامة كما يشاء .

وآلت صفية على نفسها أن تشم النسيم في قابل حيث يريد زوجها، راجية ان تنسلخ فيه من كل مايعيدها الى تلك الذكريات فتسعد زوجها الذي يجهل كل شيء منها ويؤثرها بحبه وعاله .

القاهرة — وداد سكاكيني

همس الطريق

☆

في كل ذرة صمت
والف شيء وشيء
حتى الطريق المسجي
قد استحال لحوناً
ولدت ألمح دنيا
مذ صحت بالليل اني
حتى التراب الحقير
فالخوف اودع فيه
روحاً تفيض حياة
ترى ابين ضلالي
يا درب سر بي فاني
وخلف هذا الوجود
فمثل سرك قلبي
لكن الف طريق
هنا جراح عهود
وملء تلك وعود
وبين تلك وهذي
وقافلات سنيني
فعشت بين خطوط
العارُ مر عليها
ابغي سمواً ولكن
واست الا ظلالاً
ولست الا تراباً
قاذورة من امان
يا درب سر بي فاني
بل دمعة سرقتها

تنمو وتخفق فكره
هنا يقدس سره
في ناظريَّ رغامه
عميقة فابتسامة
وراء رعشة صوتي
اخاف ظلمة صمتي
اراه ليس حقيرا
روحاً تفيض شعوراً
وراء كومة حسي
وجدت هوة نفسي
آنست شيئاً جديداً
لقد خلقت وجوداً
ملفحٌ بالظلام
في ظله المترامي
وصبوة واغاني
تحوك حبل الاماني
نصبتُ لوحة جدي
تخط شيئاً وتغدي
يا درب مثلك عميا
فمات فيها لتحيا
حواء فيَّ وآدم
لرقصة تتقادم
قد نتنته السنونُ
اغفت عليها الدجون
في الارض صرخة ذاتك
حواء من بسماتك

بغداد — بلند الحيدري

الجمال بين التطور والمثالية

بقلم مظهر علم الدين

يختلف تصور الجمال باختلاف النظر الفلسفي اليه. وسنحاول في هذه العجالة تفسير الحال على ضوء فلسفتين: التطور والمثالية. ويحسن بنا قبل ان نخوض في صلب الموضوع ان نوضح بان تفسيرنا التطوري للجمال ليس هو التفسير المادي. ففلسفة التطور هي غير الفلسفة المادية، وهي بالرغم عن قربها منها تختلف عنها في معظم خطوطها الكبرى، والعناصر التي ترتكز عليها فلسفة التطور تتغاير كل التغاير عن العناصر التي ترتكز عليها الفلسفة المادية، لذا كان من ابرز الاخطاء العلمية المزج بين الفلسفتين، هذا الخطأ الذي وقع فيه كثير من الشراح وجهابذة العلم الحديث..

الرأي التطوري

ترى فلسفة التطور ان الجمال هو الغاية القصوى التي يسعى اليها النشؤ الادبي والعضوي معاً. والعضويات تهدف نحو الجمال وتسعى اليه كما انه الحافز والمشوق لها في سيرها التطوري واندفاعها نحو الارتقاء. وهي كلما ارتقت في مدارج التطور كلما سمت جمالا وتدرجت في مراتب الجمال ونسبه. والآية في ذلك أن الانتخاب الطبيعي يهدف في معمعة التناحر على البقاء الحصول على الانسب بين الاحياء. ومفهوم فكرة الانسب هو بقاء الاصلح من العضويات من حيث التكوين الجسمي والخصائص والصفات العضوية والميزات العقلية والمعنوية المثالية مع حاجات المكان والزمان. والواقع ان الجمال يتجلى بصورة ابرز كلما ارتقى التكوين الجسمي، والعبرة في ذلك بازدياد التخصص والتناسق اللذين هما من ابرز مظاهر الجمال في التكوين العضوي كلما تدرج هذا في سلم التطور.

ولا خفاء انه لو القينا نظرة عامة على تاريخ العضويات التطوري لرأينا امثلة عديدة تؤيد رأينا في ان مبدأ الجمال هو القوة المسيطرة على المخلوقات والمسيرة لها منذ البدء، وان العضويات كلما ازدادت ارتقاء ازدادت جمالا، فالزواحف اكثر جمالا من البرمائيات والطيور اكثر جمالا من الزواحف والثدييات ارفع منزلة في الجمال من الطيور والانسان اكثر جمالا من الثدييات. والسبرمان سيكون ارفع المخلوقات جمالا لانه منتهى درجات التطور:

الرأي المثالي

يعرف المثاليون الجمال بانه، العاطفة التي تحصل في النفس حين التأمل وتنعكس على الموضوع المتأمل فيه، وبتعبير آخر هو تشخيص العواطف السارة الناشئة عن التأمل. ويستمد هذا التعريف عناصره من الذوق والجمال (Esthetique) وهذا يعرّف الاختبار (الاستاتيكي) بانه الاختبار التأملي الذي ينعكس من عواطفنا في موضوع التأمل. ومن الجلي ان الرأي المثالي في الجمال هو رأي فاعلي اي ان الشعور بالجمال وتذوقه هما نتيجتان لاختباراتنا الشخصية ولانعكاس عواطفنا فقد نقول عن السماء المتلبدة بالغيوم بانها قاتمة ونصف السماء بالغضب عندما نسمع صوت الرعد او نقول عن الالوان بانها مسرة وزاهية وعن الطبيعة بانها فرحة بينما ليس هذا الا انعكاساً لعواطفنا وشعورنا. والمثالية لا تنكر تسرب عناصر التفكير بيد انها تحصر هذا التسرب في حالة تحليل الموضوع وتذوقه. وهي ترى انه ليس في الطبيعة سوى الالكترونات والبرتونات تسير في دورانها اللانهائي. والظواهر التي يتصورها الانسان عن الطبيعة، والكيفيات التي يتخيلها عن الاشياء، ان هي الا افكار شخصية واختبارات ذاتية اي انها افكار في العقل تصوّر الشيء تبعاً للاختبارات الذاتية، لا صفات للشيء، كما ان رؤيتنا لها جميلة او قبيحة هي نتيجة لانسكاب عواطفنا عليها.. ثم ان الشعور بالجمال الذي يشعر به الانسان يتوقف على عدة عوامل كمقدرته

دراسات في الادب المهجري

الادب المهجري ادب رسالة

رسالته الى الشرق العربي

بقلم عيسى ابرهيم الناعوري

☆

لعل خلاصة معنى « الرسالة الادبية » : الاهتمام بالتوجيه الصحيح الى خير السبل المؤدية الى سعادة الحياة، فقلم الاديب هو الفأس التي تحطم وعر الطريق لئلا تعثر به أقدام أبناء الحياة ، والمشعل الذي ينير لهم هذه الطريق ليهتدوا الى السعادة الحقة، وليبلغوا الى راحة القلب، وطمأنينة الروح، وسلامة الضمير .

ولقد كان الادب المهجري — كما رأينا سابقاً - ادب رسالة حقة ، تتناول نواحي الحياة المختلفة : الروحية منها والاجتماعية ، والانسانية الشاملة منها ، والقومية المحدودة . وقد بيّنا فيما سبق مدى تأديته لرسالته الروحية والانسانية ، وفي هذه الالمامة نحاول ان نرى كيف ادّى الادب المهجري رسالته الى الشرق العربي . غير انه لا بد لنا ، قبل ان نمضي في بيان ذلك ، من ان نتساءل: هل يجب ان تكون رسالة الأدب الى الامة — كلّ امة — رسالة قومية صرفة ، مقيدة بحدود العاطفة والعصبية ، ام رسالة انسانية مطلقة واسعة الآفاق ، مترامية المنازع ؟

ان كثيرين يرون ان هذه الأخيرة هي الرسالة الصحيحة التي يجب ان يؤديها الأدب الى كل امة — والامة العربية ليست بدعاً

على الرجع العاطفي وعلى شروطه الصحية وماضي حياته . فالمثاليون اذن يرون الجمال شيئاً فاعلياً فهو ليس بنظرهم ميزة او صفة للشيء ولكن نتيجة محضة لتأملنا به ولانسكاب عواطفنا عليه وهم يرون ان هذا التأثير يولد غالباً ضمن ظروف خاصة فالبناية لا تخلق الشعور بالجمال اذا رؤيت بالطائرة ، وان احب الاشخاص اليك قد لا تراه جميلا في كل مواقفه ونواحيه، فبعض المواقف تبدو غير مستحبة والبعض الآخر يبدو جميلًا . والمتأمل في الشيء يجب ان يكون قادراً على تذوق نواحي الجمال فيه كما يجب ان يكون في حالة نفسية تساعده على تذوقه .

ويتبين لنا من النظرية المثالية للجمال انها تراه بشكل ذاتي بينما يتصوره التطور بشكل موضوعي ولا مرية في ان الاعتقاد بان الجمال هو فكرة فاعلية محضة قول يشوبه كثير من الضلال ، اذ كيف نفسر الامر بان ليست كل الاشياء قادرة على اثارة الاحساس بالجمال في نفوسنا وانه من الجائز، في مكنتنا ، ان نعين شروط الجمال ونصف عناصره من حيث الخطوط والشكل واللون . ثم كيف نحتم وجود التناسق والاتساق في الاشياء الجميلة ، هذه الاسباب التي يعتبرها التطور كمظاهر اساسية للجمال نتجت عن حركته ثم شخصها الانسان في الجمادات .

الخلاصة

لا شبهة في ان المثالية كانت اقدر من التطور في تحليل معنى الجمال والعناية بماهيته ونظرتها اليه كانت ذاتية بحتة اي هو عبارة عن فكرة في النفس لا صورة في الشيء او صفة له ، على ان التطور كان اسبق من المثالية في العناية بمنشأ الجمال والغاية من وجوده وكان نظرته للجمال موضوعية اي انه يرى صفات الجمال موجودة في الشيء وملتصقة به ، وهذه الصفات عبارة عن الاتساق والتناسق والتناسب الناتجة عن عمل التطور ، وان هذه الصفات الجمالية تزداد وضوحاً وبروزاً كلما ازدادت العضويات ارتقاءاً . والتطور سبق المثالية في انه بين الغاية من وجود الجمال وانه الهدف السامي الذي تسعى اليه الاحياء لان فكرة الجمال منبثقة عن اصل الوجود وهي من ابرز صفات الخالق الموجود .

دمشق المحامي مظهر علم الدين

بين الامم –، ولكنّ غيرهم – وهم الأكثرون – يرون ان الامة العربية في حالتها الحاضرة التي تقاسي فيهـا اشنع انواع الظلم، وامرّ صنوف العبودية في خنوعها للامم القوية الحـاكمة، لهي في أمسّ الحـاجة الى ادب قومي صرف، يعلمّها كيف تنهض من كبوتها، وتنفض عنها مذلة الخنوع، لتتبوأ مكانها تحت الشمس الى جانب الامم الحرة القوية، ولو كلفها ذلك ان تلغ في الدماء، وتخوض فيها اقدامها طويلًا. وكلا الرأيين له وجاهته وقيمته. ونحن لا نستطيع ان نفرض على الناس مبادئنا وان كنا حين نعتقد بأفضلية احدى هاتين الرسالتين الأدبيتين على الثانية، ولذلك لا بد لنا من القول ان كليهما ضروري للشرق العربي، فهو في حاجة الى ادب قومي يقيله من عثاره ويقوده الى الحياة الحرّة ويعلمه ان الحرية هي اثمن الكنوز وهو الى جانب ذلك في حاجة الى ادب يجعله يشعر شعوراً عميقاً بالصلة التي تربطه بكل بني الحياة وتربطهم به، فتؤلف منهم جميعاً جوقة ترتّل نشيد الحياة الواحدة الشاملة التي لا تتفرق ولا تتنابذ.

وسنقصر الآن حديثنا على رسالة الادب المهجري القومية. ونحن حين نتحدّث عن هذه الناحية وحدها لا بدّ لنا من الوقوف طويـلًا عند اديبين كبيرين من ابرز ادباء المهجر، اولهما امين الريحاني، والثاني الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، فالأدب القومي ابرز ما نجده عندهما، وهو عماد ادبهما وسرّ قوّته.

اما الريحاني فقد جعل قلمه وسيلة لتهذيب قومه، وفتح عيونهم على ما هم فيه من مذلة وعبودية، وعلى الطرق الممكن اتباعها لنهج سبيل الحرية الصحيحة، فأراهم انّ مـا هم عليه من تفرقة متعددة الاسبـاب والنواحي، هو السبب الأهمّ في ذلهم، فالطائفية، والحزبية، والمذهبية، هي كلها امراض تنخر في جسم العروبة والوطن العربي، وتساعد على اضعافه واذلاله، والسبيل الوحيد الى نهوضه هو في ازالة كل هذه الفروق، والاتحاد الصحيح في ظلّ لواء عربي واحد، لا يعرف ديناً ولا طائفة، ولا حزباً ولا جنسـاً في وطنيته، وبغير هذا السبيل لا يمكن للشرق ان ينضو عنه الهوان.

وفي ذلك يقول في كتابه «التطرّف والاصلاح»: «اخواني أبناء وطني! ان اول ما يلزمنا في هذه البلاد... هو هذا الشعور الوطني الخالص من شوائب المذهبيات والطائفيات كلها: الشعور الصافي السليم الخالص للوطن... علينا أن نرفع في شؤون المدنية، الوطن على الدين... بل علينا ان نفكك الطوائف كلها، لنستطيع ان نؤلف منها طائفة الوطن الكبرى. اجل علينـا ان نسعى في تأليف وطنية عالية شاملة، ركنها الاول الوحدة القومية، وان نعزّز هذه الوحدة بالاعمال لا بالاقوال. وعلينـا ان نغرس هذه الفكرة في البيت وفي المدرسة، وان نؤسس لها الجمعيـات من النساء والرجال لتبثها في الأمة».

وفي مكان آخر يقول: «ان ديني وطني ايهـا الاخوان، وبطريركي مبدأي، وكنيستي أدبي، وطائفتي امتي. والاديب الحر الصادق، من قال هذا القول، وسلك هذا المسلك، والصحافي الحر الصادق الوطنية، من بشّر بالطائفة الجديدة: طـائفة الوطن والجنس، ورفعها على كل الطوائف الدينية، والاحزاب السياسية في البلاد».

والريحاني في وطنيته رجل عمليّ واقعي، لا يخدعه التنميق في البراهين والحجج، لذلك نسمعه يردّ في كتابه «انتم الشعراء» على دعاة «الفن للفن»، لا الفن لخدمة الحياة والبشر، بكلام يعطينا اوضح صورة عن نوع ادراكه لرسالة الاديب، ويعلمنا ان الرجل انما كان يستهدف في رسالته تحرير قومه، والنهوض بهم الى مستوى الامم الراقية فيقول: «لقد انكرتم علينا القول: ان زينة الحياة القوة، فقلتم وقد فاتكم ما شمل من كلامنا: انّ في الحياة غير القوة مما يستوجب الرعاية والاجلال، اي ان فيها للعبقريين من رقة الشعور وعذوبة الارواح ما يتألف منه روعة الفن وطهـارة الدموع، وامام تلك الرقة والعذوبة، وعند قدمي الروعة والطهارة يجب ان نخر ساجدين. وانا اقول لكم ان من ينشدون فناً لا وطن له، يمسون ولا فن ولا وطن لهم.

القوة ثم القوة ثم القوة! القوة العقلية العلمية، والقوة الروحية اللاطائفية، والقوة المادية الاقتصادية، يوم نظفر بهذه القوى كلها، نصير امة حرة، مستقلة، عزيزة النفس، عزيزة الجانب بدون الاجانب.»

وكما اتخذ الريحاني من قلمه وسيلة لتحرير قومه، كذلك جعله ايضاً وسيلة لاطلاع الغرب على احسن مـا في الادب العربي من كنوز، وما في الشرق العربي من ذخائر، فقد ترجم الى الانكليزية مختارات يسيرة من لزوميات المعري، وألف في تلك اللغة عدداً من الكتب التي تتحدث عن العرب والعروبة والبلاد العربية، فكان بذلك رسولا حقاً بين الشرق والغرب: ينقل الى الغرب خلاصة ادب الشرق وروحيته، والى الشرق أحسن ما في مدنية الغرب وقد ظل يتنقل بين الشرق والغرب، «كارزاً» برسالته الادبية، ومبشراً بتعـاليمه القومية التي تستهدف نهضة الشرق ومجده، ووحدة العرب وعزهم. وقد طوّف في ارجـاء البلاد العربية،

ووضع فيها المؤلفات العديدة التي تخدم رسالته القومية ، وهي أشهر من أن تعرّف .

والذي يريد الاطلاع على توجيهات الريحاني الادبية والاجتماعية والقومية ، لا بد له من الاطلاع – عدا كتبه عن البلاد العربية وملوك العرب – على « الريحانيات » و « النكبات » و « التطرف والاصلاح » وغيرها ، حيث يرى ان الريحاني قد كان في الرعيل الاول من دعاة القومية ، المبشرين برسالتها عن وعي صحيح وايمان عميق . وقد كان قلمه البارع الحكيم يجول في مختلف شؤون الشرق العربي ، فيعالجها معالجة خبير مجرّب ، ويبين وجه الرشاد والحكمة في معالجتها . وهو في هذه الناحية لا يجاريه اديب آخر من زملائه المهجريين .

اما الشاعر القروي : شاعر الوطنية العارمة الثائرة ، فتتجلى نزعته القومية في شعره بارزة ، بل ابرز من كل ما طرقه في شعره من مواضيع . وهو في شعره القومي اكثر توفيقاً ، واعمق تأثيراً ، واجود شاعرية منه في غيره . وفي كل قطعة من حنينه ، وشعره الوطني ، فلذة من قلب وطنيّ ثائر ، وشعلة من ايمان وطنيّ عميق ، يعبّر عنها قوله في « أعاصيره » تحت عنوان « عيد الفطر » :

ولكنني أصبو الى عيد امةٍ ... محررة الاعناق من رقّ أعجمي
الى علمٍ من نسج عيسى وأحمدٍ ... وآمنة في ظله أخت مريم
هبوني عيداً يجعل العرب امةً ... وسيروا بجثماني على دين برهم
سلامٌ على كفر يوحّد بيننا ... وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

والذي يطالع شعره الوطني ، يشعر بأن في كل بيت منه جذوة متقدة تلذع قومه لذعا ، لتدفعهم الى نشدان الحق والحرية بكل وسيلة ممكنة . ومن ذا الذي يقرأ ابياته السبعة التي توّج بها غلاف ديوان « الاعاصير » ولا يثور الدم في عروقه ، وهو يقرأ :

الهي ردَّ ما لك من ايادٍ ... على وطني ، وردّ له الايادا
خلعتَ على رباه الحسنَ فذا ! ... وألبست الفتاينَ به الحدادا
وما شرف الجبالِ لساكنيها ... رشمُ ابائهم خسفت وهادا
أهيب بهم فلا ألقى سميعاً ... كأنيَ المنادي والمنادى
ألا ذوّقتهم ألمي فثاروا ؟ ... فيا رباه ! لست انا البلادا
شبول الأرز ! بات الحلم عجزاً ... وبعض الصبر موت ان تمادى
فكونوا النار تحرق ، او قذىً في ... عيون البُطل ان كنتم رمادا !

ومن لا يحترق صدره بالثورة الملتهبة وهو يقرأ قوله :

أحبوا بعضكم بعضاً وَعظنا ... بها ذئباً فما نجت قطيعا
فيا حملاً وديعاً لم يخاف ... سوانا في الورى حملاً وديعا

او قوله :

من ينبىء السوريَّ وهو مشوّهٌ ... وجهَ الاباء لكثرةِ التعفير
ان الأُلى سجدَ الملوك لبأسهم ... سجدوا بسوريا حيال قبورِ
عجباً لسوريٍ يحقر نفسه ... والخلقُ يسجد للتراب السوري

واي عربي – من لبنان وغير لبنان – لا يغضب لكرامته ويثور ليغسل عار هوانه ، حينما يقرأ قوله :

أمدوّن التاريخ ! مرحمةً ! ولا ... تذكر لهم لبنان في صفحاته
لا تخبر الاحفادَ ان جدودهم ... لم يشهروا سيفاً بوجه عداته

ومثل هذا كثير كثير ، بحيث يصعب علينا أن نسترسل في استشهادنا به . فحسبنا منه هذا القليل ، ففيه غنية لنعرف نوع الرسالة الادبية التي يحملها رشيد سليم الخوري ، ويؤديها بنشاط وحماس الى وطنه العربي ، والى قومه العرب .

وبعد فلئن وقفنا كل هذه الوقفة الطويلة عند الريحاني والقروي ، فليس معنى هذا ان اقلام الآخرين قد جفت عليها النفثات الوطنية والقومية ، فالكثير من شعراء المهجر شعر قومي ، يتمثل فيه صدق الوطنية وعمقها ، وأودّ أن اشير الى قصيدة لأمين مشرق بعنوان « آية الاجيال » ، والى كثير من شعر ابي ماضي ، والياس فرحات ، وعقل الجرّ ، وندرة حداد ، ونسيب عريضة ، ومسعود سماحة ، والياس قنصل وغيرهم .

ثم لا بد لنا من ان نذكر جبران في حديثنا عن رسالة الادب المهجري الى الشرق العربي . فعلى الرغم من مثاليته وانسانيته التي تتعالى على كل الحدود والفروق والعصبيات ، لم يستطع ان يتجرد من العاطفة الوطنية ، بل جرى فيها قلمه مراراً ، ومن ذلك قوله تحت عنوان « المخدرات والمباضع » : « انما الشرق مريض قد تناوبته العلل ، وتداولته الاوبئة حتى تعوّد السقم وألف الالم ، واصبح ينظر الى اوصابه واوجاعه كصفات طبيعية ، بل كخلال حسنة ترافق الارواح النبيلة والاجساد الصحيحة ... واطباء الشرق كثيرون ، يلازمون مضجعه ويتآمرون في شأنه ، ولكنهم لا يداوونه بغير المخدرات الوقتية التي تطيل زمن العلة ولا تبرئها . ان كان هناك من يريد ان يبدل نوحي بالضحك ، ويحوّل اشمئزازي الى الانعطاف ، وتطرفي الى الاعتدال ، فعليه ان يريني بين الشرقيين حاكماً عادلا ، ومشترعاً مستقيما ، ورئيس دين يعمل بما يعلّم ، وزوجاً ينظر الى امرأته بالعين التي يرى بها نفسه » .

ونسمعه يقول تحت عنوان « مات اهلي » : « لو ثار قومي على حكامهم الطغاة ، وماتوا جميعاً متمردين ، لقلت ان الموت في سبيل الحرية لأشرف من الحياة في ظلال الاستسلام . ومن يعتنق الابدية والسيف في يده ، كان خالداً بخلود الحق » ثم يردف قائلا : « ان العاطفة التي تجعلك يا أخي السوري تعطي شيئاً من حياتك لمن يكاد ان يفقد حياته ، هي هي الامر الوحيد الذي يجعلك

حرياً بنور النهار وهدوء الليل » . ولذلك نسمعه يتمنى في القطعة نفسها لو يمكنه ان يقدم اي خدمة او تضحية ليدفع الجوع عن ابناء قومه ، فيقول : « لو كنت سنبلة من القمح نابتة في تربة بلادي ، لكان الطفل الجائع يلتقطني ويزيل بجباتي يد الموت عن نفسه ! لو كنت ثمرة يانعة في بساتين بلادي ، لكانت المرأة الجائعة تتناولني وتقتضمني طعاماً ! لو كنت طائراً في فضاء بلادي ، لكان الرجل الجائع يصطادني ، ويزيل بجسدي ظل القبر عن جسده ! » .

وجبران في وطنياته شديد الحنق والغضب ، حاد اللهجة ، كثير التأنيب والتعنيف ، وما ذلك الا لشدة حبه لبلاده ، ورغبته الصادقة المتحمسة في ان يراها تنفض الذل عنها كما ينفض العصفور قطرات المطر عن جناحيه ، لتستقبل صباح الحرية والمجد بحنجرة صادحة ، وجناح قوي ، ومن غضباته النارية قوله تحت عنوان « يا بني امي » : « ناديتكم في سكينة الليل لاريكم جمال البدر وهيبة الكواكب ، فهببتم من مضاجعكم مذعورين ، وقبضتم على سيوفكم ورماحكم صارخين : اين العدو لنصرعه؟! وعند الصباح ، وقد جاء العدو بخيله ورجله ، ناديتكم فلم تهبوا من رقادكم ، بل ظللتم تغالبون مواكب الاحلام . قلت لكم : تعالوا نصعد الى قنة الجبل لاريكم ممالك العالم ، فأجبتم قائلين : في اعماق هذا الوادي عاش آباؤنا وجدودنا وفي ظلاله ماتوا ، وفي كهوفه قبروا ، فكيف نتركه ونذهب الى حيث لم يذهبوا؟ . . . ارواحكم تنتفض في مقابض المشعوذين ، وأجسادكم ترتجف بين انياب الطغاة والسفاحين ، وبلادكم ترتعش تحت أقدام الأعداء والفاتحين ، فماذا ترجون من وقوفكم أمام وجه الشمس؟ سيوفكم مغلفة بالصدأ ، ورماحكم مكسورة الحراب ، وتروسكم مغمورة بالتراب ، فلماذا تقفون في ساحة الحرب والقتال؟ . . . أنا أكرهكم يا بني امي ، لانكم تكرهون المجد والعظمة ! انا احتقركم لانكم تحتقرون نفوسكم ! » . . .

ومنه قوله ايضاً تحت عنوان « لكم لبنانكم ولي لبناني » : « هل بينكم من يمثل العزم في صخور لبنان ؟ أم النبل في ارتفاعه ، ام العذوبة في مائه ، ام العطر في هوائه ؟ هل بينكم من يتجرأ ان يقول : « اذا ما مت تركت وطني افضل قليلاً مما وجدته عندما ولدت » ؟ هل بينكم من يتجرأ ان يقول : لقد كانت حياتي قطرة من الدم في عروق لبنان ، او دمعة بين أجفانه ، او ابتسامة على ثغره ؟ » . . .

وأما ميخائيل نعيمه فليس ثمة من يجهل عمق ايمانه بروحانية الشرق ، وبوجوب المحافظة عليها ، لانها — في رأيه — افضل الوسائل لسعادة البشرية جمعاء ، ولانها هي الرسالة التي يحملها الشرق الى العالم والى الحياة ، ويجب عليه ان يؤديها في الحاضر ، ويستمر على تأديتها في المستقبل ، كما أداها في الماضي بلسان انبيائه ورسله . وهو في هذا الرأي على نقيض تام من الريحاني القائل : «انا الشرق ، عندي فلسفات ، وعندي اديان ، فمن يبيعني بها طيارات ؟ » .

ومن اقوال نعيمه في هذا الصدد ، ما ورد في كتابه «البيادر» بعنوان : التوأمان . الشرق والغرب ، وهو : « من ذا ينكر على الشرق سلطانه على كل ابناء الارض منذ كانت الارض وكان الشرق؟ وأي سلطان يتوخاه انسان على انسان ، اقوى من السلطان على القلب والفكر والوجدان ؟ ما هي بالهدية الطفيفة ان تهدي الى العالم بأسره إلهاً ، ومع الاله اليقين بأنه ابوك الشفوق الرحوم العادل ، ومع اليقين الرجاء بالانعتاق من ربقة الموت وآلام الموت» ثم يمضي في ذلك الفصل على هذا النسق ، حتى نسمعه يردّ على من تغرهم مدنية الغرب ، فيكفرون بروحانية الشرق ، ويتمسكون باختراعات الغرب ، فيقول : « فاعجبوا معي لهذا الشرق — وقد اهدى الى العالم المحبة والقناعة والتضامن والتآخي — يقف اليوم على مفرق طريق البصيرة والبصر ، كسير القلب . . . ويمينه الفارغة ممدودة نحو الغرب ، وفي يساره قائمة بأسفاره المقدسة واسماء انبيائه ، ثم اسمعوه يستعطي بصوت متهدج ، فيه الانسحاق ، وفيه المسكنة والاندحار . وماذا عساه يستعطي؟ انه ليستعطي طيارات ودبابات ومدمرات ومدافع وقنابل . واني لأسمعه يقول : « من يقايضني قنبلة محرقة بآية منزلة ، وطيارة او دبابة بسفر مقدس ؟ بل من يقايضني مخترعاً واحداً بعشرة انبياء ؟ » ما هذا ، ما هذا؟ أبصيرة تستجدي بصراً ؟ أشمس تستغيث بذبالة ؟ » .

ثم نسمعه يقول في فصل آخر : « لا هدف للانسان ابدع وأسمى وأقوى على الزمان ، من الذي نصبه الشرق ، وراح يدعو اليه الناس اجمعين . . . ان الغرب لعاجز عن خلق مثل ذلك الهدف» .

وهكذا نجد ان رسالة نعيمة الادبية كانت رسالة روحية محضة ، لا تؤمن بشيء من الفروق والمخترعات والامور المادية كلها .

وبعد فانني أشعر بأنني قد اطلت في ضرب الامثلة وتقديم الشواهد ، لذلك اكتفي بما تقدم ، راجياً ان اكون قد وفقت الى عرض رسالة الادب المهجري على انواعها الثلاثة بصورة واضحة وافية .

كلية ترَاسانتا — القدس عيسى ابراهيم الناعوري



من حولنا

للاستاذ محمد سعيد العريان – ٢٦٠ صفحة – دار الكاتب المصري

الملاحظة الاولى التي يلاحظها قارىء هذه المجموعة القصصية هي ضعف الحادثة وتهافت الهيكل القصصي ، فمعظمها في الواقع ليس الا صوراً مقتبسة من الواقع او من الخيال . واعتقادنا ان القصة ينبغي ان تتجاوز في لحمتها وسداها الصورة التي لا تعتمد الا على الوصف والتحليل، الى الحادثة المتسلسلة الوقائع، المرتبطة الاجزاء، وهذا هو العنصر الذي يكسب القصة روعتها ويغري بها القراء.

وباستثناء بضع قصص في اول هذا الكتاب ، يرى القارىء نفسه امام صور ضعيفة في الحادثة ، وان كانت بارعة في الوصف والتحليل، وتشترك في هذه الصفة اقاصيص «جناية رجل» و«العروس» «ثمن المجد» التي تتميز بمطابقات غير طبيعية و «ثمن الامومة» و« الضيف الآخر » و« الدرس الاول » . وهذه الاخيرة تتسم بالتصنع الفكري الذي لا جدوى منه : فتاة تبدأ حياتها بالتمثيل على مسرح المدرسة، فيعجب بها الحاضرون ، وحين تخرج الى الحياة تصبح ممثلة ، ويراها معلمها على المسرح ، ثم يرى تلميذة اخرى من تلميذاته تزوجت ورزقت طفلا . . وتنتهي القصة بهذا التساؤل : « اي الفتاتين خير ؟ » .

على ان المؤلف يقصد لا ريب في كثير من قصصه الى العبرة والعظة، وهو يوفق الى ذلك في كثير من الاحيان، بيد ان استهدافه هذه الغاية في معظم ما يكتبه، يبرز التصنع والتكلف في ربط عناصر الحادثة وسوقها ، فلئن كان لهذا القصد مزية في ذاته ، ففيه نقيصة في هيكل القصة كحادثة ، وهذا ما يجعلنا نعتقد ان القصاص ينبغي الا يقصد قصداً الى العبرة والعظة في قصته ، فيضعف لديه « فن » القصة ، وانما يدعها تأتيان عفواً وعن غير قصد ، وهذا ما يجعل لها قيمة اكبر .

وملاحظة اخرى تمت بصلة الى « الحادثة »، هذا العنصر الذي اعلق عليه اهمية كبيرة ، فعلى الرغم من انها ضعيفة – بالاجمال – كما ذكرت، فهي تستغرق حياة البطل بكاملها، او حياته العاطفية على الاقل : وهذا في رأيي خطأ في الاقصوصة، لان هذه ينبغي ان تستغرق حادثة واحدة من حياة البطل ، او مجمل حوادث في دنيا واحدة من دنيوات حياته ، لان الاقصوصة بما يجب ان تتوفره من القوة في جمال الحادثة وروعة التحليل والوصف، لا تتسع لرواية حياة بكاملها ، وانما هذا من شأن الرواية او القصة الطويلة .

ثم اننا نرى المؤلف الفاضل لا يولي « الحوار » كثيراً من همه فهذا عنصر يكاد يكون مفقوداً في الكتاب ، والقصة لا تضم الا بضع عبارات قصيرة يتبادلها البطلان او يفكران بها تفكيراً، ويقيننا ان الحوار – اذا كان مركزاً – يغني عن كثير من التحليل والوصف ، وهذا الضعف يتجلى في اقاصيص « من ادباء الجيل » – التي يفقد فيها المؤلف نفسه القصصي ، و « جندي مرابط » . واحب ان اشير بصفة خاصة الى ان قصة « آخر الطريق » بالغت غاية في الضعف والتكلف ، وهي في الواقع اصلح لان تعتبر سيناريو من السيناريوات الباهتة . لأنها لا تقوم الا على سوء تفاهم ، او تباين في طبقتي البطلين ، والتعمل واضح جداً في ان يكون بطلا هذه القصة شقيقين – اخاً واخته – يتحابان ويتزاوجان ، ثم يفترقان اذ يعلمان الحقيقة من ذويهما بانهما رضعا من ثدي واحدة ، ولكنه يكون قد ترك في احشائها جنيناً ، ويتزوج البطل من امرأة اخرى ، وتمر سنوات ، ويستخدم لديه فتاة صغيرة يتبين فيما بعد انها ابنته . ويذهب الى حبيبته وزوجته الاولى – التي هي شقيقته – فيثبت لديه انها ليست شقيقته حقاً وانهما لم يرضعا من ثدي واحدة . . ويعود الحبيبان الى حياتها الاولى . . .

ومن عناصر الضعف في هذه المجموعة القصصية ان المؤلف يعنى بتحليل نفسية كل بطل من ابطال قصته ، ونعتقد ان نفسية البطل الثاني – او الابطال الاخرين – ينبغي الا تحلل ، لانها يجب ان تعرف من خلال نفسية البطل الاول، وهذا من شأنه ان يهيىء عنصر المفاجأة في القصة ويجعل له وقعاً لذيذاً ، فالواقع ان تحليل نفسيات الابطال جميعهم يقتل المفاجأة ويذهب بجمال الحادثة ويدع القاري‌ء غير مهتم لان يتابع مجرى الحوادث ، لانه ينتظرها ويتوقعها ، وهذا التمهيد للحوادث من مساوىء القصة في نظرنا ،

وقد شعرنا بذلك في قصص « لقاء » و« النائب المحترم » و« امنية تحققت » .

امــا مزايا هذه المجموعة القصصية فتتجلى في التحليل النفسي الدقيق والوصف الرائع وتصوير العواطف والاسلوب الرفيع . فالتحليل يبلغ في كثير من هذه القصص غايته من الجودة والسمو، وهو يغني عن قوة الحادثة احياناً ، كما في قصتي « رجل وامرأة » « وام بلا ولد » وهما من اجمل اقاصيص الكتاب، فالاولى تتلخص في حب تبادله شاب وفتاة ، ولكنها ما لبثت ان استعلت عليه وتركهـا تستعلي ، فخرجت عن طوقه ، فلم يجد الا ان يتركها، وقد عادت اليه رجولته ، وحين رجعت هي اليه ، كانت قافلته قد سارت بعيداً ، فلم تدرك الغبار يقذي عينيه : « علمته من قبل كيف يكون بليد العاطفة ، فبقي معها بليد العاطفة ، وعلمته الا يؤمن بالحب ، فاثبت لها انه لا يؤمن بالحب ، وحين عادت امرأة ذات قلب ، عاد هو رجلًا بلا قلب » فهذه قصة يغني جمال التعبير فيها وقوة التحليل عن جمــال الحادث . وكذلك القول في قصة « ام بلا ولد » : فتاة في الخامسة والعشرين من عمرهــا ، تعلم اطفالا كأنما هم اولادها ، اتتها يوماً رسالة باسمها (خديجة) من شاب يبثها لواعجه ويمنيها باللقاء . وراحت تنتظر . . . واتتهــا صديقاتها ذات يوم يتحدثن ففهمت من احداهن ان خطيبة اخيها تدعى خديجة ، وان الرسالة لم تكن لها . . وضاع املها وتحطم قلبها، ولكنها عادت الى ابنائها الاطفال تضمهم وتتمتم « انا لكم ام ، ام بلا ولد » .

ويعالج المؤلف أقاصيصه بكثير من الحرارة والحياة والرقة العاطفية ورهافة الحس ، ويستمد معينها من الحياة الاجتماعية، ولا سيا في الحقل الزوجي ، وهذا ما يبعد قصصه عن الخيال ، وان لم يكن في الحقيقة بارعاً في استثمار الواقع واستغلاله باكساب حادثة الروعة المطلوبة . وتغلب على مجمل هذه الاقاصيص نزعة المأساة والحزن التي تورث في النفس الكآبة والأسى .

ولكن مما لا شك فيه ان ميزة هذا الكتاب الاولى ، ذلك الاسلوب الرائع ، والبيان الناصع ، الذي يوفي على الغاية في الجمال والقوة وشدة الأسر ، الى سلاسة ورهافة ، وبقيننــا ان المؤلف سيكون قصاصاً بارعاً يحتل مكانه في الصف الاول من القصصيين المصريين لو اولى حادثته ومفاجآتها وحوارها عناية اكبر ، لا سيا وانه يملك الاداة الطيعة في الاسلوب والوصف والتحليل .

سهيل ادريس

١ ـ المستشرقون

الاستاذ نجيب العقيقي (طبعة ثانية) ٢٤٠ صفحة، قطع كبير - دار المعارف بمصر

الاستشراق : يقظة الغرب على تراث الشرق منذ كان الشرق غنياً خصباً حتى اليوم ومنذ بدأ الغرب يتوق الى شميم عبير الشرق والوقوف على سر سحره وروعة اساطيره وعمق شخصيته وتشعب ثقافته وغنى عبقريته .

منذ الف عام ونيف بدأ الاحتكاك فتقابل العقلان ، ومــا هي الا جولة أخذ ورد حتى ارتد الغرب بالاشعــاع الاول عن الشرق . . فكانت حضارته . . .

اما كيف كان ذلك بالتفصيل ، كيف استطاع المستشرقون ان ينفذوا الى صميم حضارتنا ، ومــا هي السبل التي سلكوها ، والمراحل التي مروا بها ، ما هي الغايات التي دفعت بهم ولا تزال الى الضرب في مطارح الشرق وابعاده ، كيف وفقوا وهل افادوا ومــا هي آثارهم ومن هم وكيف عاشوا ؟؟ كل هذه الاسئلة وسواها يجيب عليهــا بدقة وأمانة كتاب : « المستشرقون » فلا يترك شاردة ولا واردة تتعلق بالاستشراق والمستشرقين الا ويتناولها بالشرح والتعليق . فالكتاب من هذه الناحية تام شامل اوفى على الغاية وتحدى اكبر الباحثين بالاستشراق الذين ضاعوا بين الاسفار وتاهوا في مجاهل المخطوطات فطلعوا علينا بالنزر اليسير الذي لا يروي غلة ولا يصح ان يكون حجة او مرجعا . اما هذا الكتاب الخصب فهو اول محاولة ناجحة في جمع أسماء المستشرقين واخبارهم وتحقيق ما اختلف من الآراء حولهم ، ولذلك فــاني استطيع ان أسميه مرجعاً دون ان اكون قد ذهبت مذهب الشطط او المحاباة . وهو عدا عن انه « دائرة معارف استشراقية » كمــا يقول صاحبه بحق فالكتاب يكشف عن وجوه جديدة لثقافتنا ، كان العائق عن اظهارها تقاعس علمائنا عن الغوص في اعماق مخطوطاتنا العربية والصبر على استجلائها وجمعها . ثم ان الكتاب — الى هذا — مبوب تبويباً علمياً واضحاً يسهل على القارىء سبيل الاستقصاء . فهو مقسم الى اربعة عشر فصلاً كل فصل يختص بالبحث في جماعة من المستشرقين دون غيرهم مما يساعد على تركيز البحث واستيعابه بوضوح .

وبما ان مادة البحث تعتمد اول ما تعتمد على التاريخ وسرد الوقائع سرداً يتفق مع الحقيقة والزمن فان المؤلف ابتدأ بالتحدث عن فجر الاستشراق، فوضع — في الفصل الأول — نقطة ابتدائه : غزو العرب للعالم مبتدئين بالاندلس ثم فرنسا وايطاليا وصيقلة وما رافق هذا الفتح من احتكاك الغرب بالعرب الفاتحين وتأثرهم بهم

كأصحاب مدنية وحاملي لواء حضارة ودين فيهما الكثير مما يغريهم بالبحث والاستطلاع . فكان من الطبيعي اذن ان تنتشر الثقافة العربية بعد الفتح ومن ثم بعد الحركة الصليبية في الشرق فينشأ عن ذلك تبادل السفراء لا لشيء سوى اقتباس عادات الشرق وفنونه . وبعد ان يسهب المؤلف في سرد الحوادث التي رافقت هذه الحركات من جزئية وعامة يخلص الى التحدث عن بوادر الاستشراق في القرن الحادي عشر بفضل مدرسة طليطلة واشبيلية في اسبانيا — اما أدلة المؤلف على اخلاص المستشرقين وفائدتهم كثيره الا انها ادلة كان يجب ان يقف عندها كثيراً اذ ان معظم المستشرقين لا يزالون موضع شبهة في كثير من الاحيان لما حاولوه من الدس على كل ما هو عربي او اسلامي بتشويه الحقائق حيناً واختلاف الحوادث حيناً آخر ومن هؤلاء « بطرس المحترم » و« رينان » ولوبون ولاجاست ° وغيرهم — هذه ملاحظة كنت اود ان يعيرها المؤلف اهتماماً اكثر . ولي ملاحظة اخرى وهي ان مؤلفاً كهذا يكاد يغلب عليه السرد التاريخي على علاته دون مقابلة او تفنيد مما ينقص من متعة الكتاب وفائدته .

ومهما يكن من امر فأن هذا الجهد الذي استغرق السنين وهذه الدقة في البحث والامانة في الاداء والوضوح في العرض والغيرة على التراث العربي لاشياء تجعلنا نعترف بفضل المؤلف ونهيب بالباحثين ان يتخذوا من هذا الكتاب مرجعاً اميناً ومن المؤلف قدوة حسنة في حب المعرفة والبحث والتدقيق .

٢ ــ الانتباه الارادي

للاستاذ ابو مدين الشافعي — ١٩٢ صفحة — قطع كبير مكتبة الاداب بالقاهرة

« الانتباه الارادي » من الموضوعات الدقيقة الشيقة التي يعالجها الاستاذ الشافعي فيما يعالج من قضايا علم النفس المهمة اذ ان هذا العلم اصبح اليوم بحق مثار اهتمام العلماء البيولوجيين والانسانيين على السواء . ونحن اذا علمنا ان الاستاذ الشافعي اخصائي في علم النفس، وعلى الاخص علم وظائف الاعضاء ادركنا مبلغ اهتمامه بشرح « عملية » الانتباه الارادي هذه القوة الفعالة التي تصدر عن الانسان من حيث هو : « كل » بسيكوبيولوجي متكامل . وبكلمة اخرى : وحدة نفسية جسمية منسجمة .

فالكتاب اذن يدور حول اظهار « الصلة » بين هذه الوحدة وبين ما ينتج عنها من عوامل «الاهتمام» وعلاقته بوظيفة « الادراك» ويستعين المؤلف على اظهار الفكرة بعرض عام لمختلف النظريات مع مناقشة جزئية لبعضها . ويبدو لي ان كثرة الاستعراض والشواهد والاستطراد افسدت عليه — في كثير من الاحيان — منهجه العلمي الذي كان جديراً ببقائه سالماً من شوائب الحشو . ولكن هذا لا يعني انه استعرض ولم يناقش واستطرد ولم يظهر الصلة بين الاستطراد ومادة البحث الا ان هذه الصلة اتت متعبة واهية بعد خروجها عن محورها . وقد اثقل تفكيره بنظريات اقحمها اقحاما كأن يكثر التحدث عن نظرية الادراك في شتى اشكاله ومراحله وعن العادة في مختلف اطوارها وعلاقة العادة بالانتباه الارادي والادراك بالتمييز الضوئي . . . ومن ثم صلة التمييز بالانتباه . كل هذا على ما له من صلة بالارادة والاهتمام فليس معنى ذلك انه يجب ان يكون مدار البحث .

والكتاب — خلا هذا — مقسم تقسيما علمياً سهل التناول مما يجعل للبحث بداية واضحة متصلة اتصالا وثيقاً بكل فكرة تأتي بعدها حتى نصل الى النهاية فلا نجد انفسنا امام تفكك في المادة او تشعب في الاتجاه . فالمؤلف بعد ان يقدم الموضوع بكلمة عن اساس البحث الفلسفي مبيناً صلة الادب بالفلسفة وعلاقة بحثه بعلم النفس التكاملي لا يرى دراسة « تتجلى فيها النفس ككل » ولا يجد « وظيفة تعنى بهذا الغرض احسن من وظيفة الانتباه الارادي » فهو الذي يجعلنا نرى النفس ككل متماسك مع الجسم ولهذا فهو ينفي نفيا باتاً ان تكون النفس مقسمة الى قوى وملكات فقط لا علاقة لهذه الملكات الجزئية بالجسم الطبيعي المحسوس . اذ ليس المطلوب فهم النفس لذاتها ولا الجسم انما المهم في القضية هو : ان تفهم النفس والجسم ككل موحد له تفاعل ظاهر . وكأن الاستاذ شعر بما سيداخل عقولنا من تساؤل : ولم يكون للانتباه الارادي كل هذا المجهود؟ فيجيب : «ولا غرابة في ان يكون للانتباه الارادي كل هذه القيمة العلمية اذ هو اساس علم النفس، والنفس منبع كل نشاط انساني وفق هذا الاعتبار يسير في بحثه — بعد عرض المشكلة من الناحية التاريخية — محللاً ومستعرضاً ومناقشاً على ان ناحية الاستعراض تطغى — كما قلنا — على البحث والاستنتاج ولكنه عندما يستنتج او يعلق يوفق الى ابعد حد اذ يبدو واثقاً من فكرته . ونجاحه في الاستنتاج صادر عن عرضه للنظريات والمذاهب عرضاً سهلاً ملائماً حتى لكأن القاري (ذا الانتباه الارادي) يدرك الاستنتاج المنطقي قبل الخلوص اليه . فهو بعد ان يقدم الدليل على عظم البحث من الناحيتين : التاريخية والفلسفية يقوم بتقسيم الموضوع تقسيماً علمياً صرفاً فيبحث في صلة الادراك بالمراكز المخية ناقداً نظرية « الجشطلت » مفنداً نظريات القدامى فيما يتعلق بصلة

الاحساسات المختلفة بمناطق المخ . وهو بعد عرض دقيق لمذاهب الادراك يصل الى النتيجة الحتمية التي يقصدها وهي: «ان الادراك متوقف على النشاط السيكولوجي المتجمع في شكل انتباه». ثم نراه يقرر ان الادراك لا وجود له دون النشاط الارادي . بعد هذا التحليل النظري يقوم بتحليل آخر تطبيقي هو الاختيار الارادي، الذي هو عمل ارادي جزئي متمم للانتباه الارادي وبهما معاً تقوم «عملية التنفيذ» على ان يكون الاختيار الارادي اختياراً تعيينياً (Détermination) والا فقد الانسجام وتعذر التنفيذ . وبعد عرض مسهب لنظريات «بيار جانيت» في التوازن الجسمي والذهني وبرجسون في تعريف الحلم وغيرها يخلص الى القول بأثر اللغة في الانتباه الارادي قائلا «ان اللغة تقوم بأكبر دور في الربط بين الفردية البيولوجية للشخص وبين شخصيته الاجتماعية وذلك من نواح عديدة: منها: ان اللغة تفرض تعلماً خاصاً على بعض اعضاء الجسم مثل الحلق والشفتين واللسان وكل جهاز التنفس، ومنها: ان اللغة من جهة اخرى تستدعي استعمال الذكاء. ثم ان هذا التعلم يتم بواسطة التربية الاجتماعية التي تفرض على الفرد سلوكاً جديداً فيحاول ان يكون من الفردية شخصية والفرق بين الاثنين بعيد جداً بعد ما بين «الرجل الاجتماعي والطفل» واللغة فوق هذا وسيلة للربط بين الجسم والذهن فهي تنمي الذكاء كما تنمي النشاط الحركي. ثم ان لأثر البيئة الاجتماعية في الانتباه الارادي اهتمام ظاهر من المؤلف لما لها من تأثير في تركيز الانتباه بين طرفي الاتجاه والاتزان.

ويختتم المؤلف الكتاب بفصل عن التكامل النفسي فيرى – بعد شرح الاسس البيولوجية للانتباه – ان هذا الأخير صورة للتكامل، لانه يقوم على اتجاه النشاط اتجاهاً منبثقاً عن عوامل بيولوجية ونفسيه واجتماعية فيقرر «ان هذا الاتجاه لا يمكن ان يظهر كاملا وان يصير حرا قبل نضوج بيولوجي يحقق لنا تكاملنا الجسمي والنفسي على اوفى وجه».

هذا ويمتاز الكتاب انه نتيجة عمليات تطبيقية صرفة اجراها المؤلف في معمل علم النفس التجريبي بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بعد ان فهم تجارب العلماء. ونقد بعضها واطمأن الى الآخر كما يقول، الامر الذي يجعلنا نحن ايضاً نطمأن الى نتائج بحثه .

ونحن اذا علمنا ان مجتمعنا مضطرب وتكاملنا الفردي ناقص ادركنا ما للكتاب من قيمة دليل فائدتها انها تشرح لنا بصورة عملية محققة كيف يتم لنا مجتمع افضل وتكامل انساني منسجم قائم على التطور البيولوجي للفرد. هذا التطور الاستمراري النشيط هو وحده الذي ينتج عنه تطور اجتماعي متكامل .

خليل شرف الدين

١ – التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية

للاستاذ محمد يونس الحسيني–٢٠٦ صفحات–مكتبة الطاهر اخوان– يافا

يتناول المؤلف في الفصول الاولى من هذا الكتاب تاريخ بيت المقدس وما مر عليها وعلى البلاد الفلسطينية عامة من العهود التاريخية والشعوب المتتالية والحوادث المختلفة وهو يقصد من وراء سرد هذا التاريخ اعطاء القارىء فكرة عن التطور الاجتماعي والمراحل التقدمية التي أخذت بيد الفلسطينيين نحو مرافق الرقي والنهضة . ولم يكن السرد التاريخي عبارة عن حديث عام يعرض الوقائع والنتائج فقط كما اعتاد المؤرخون بل اعتمد المؤلف في بحثه هذا على قواعد علم التاريخ الحديث فكان محللا ومستنتجاً، وعالماً يتقصى الدقة ونزيها يتحرى الانصاف . ولم ينس ان يبرهن على ان فلسطين او بالاحرى سوريا التي ما برحت فلسطين قسماً منها منذ ايام نبوخذ نصر، كما يقول المؤلف – كانت ولا تزال في نظر العرب الذين يستوطنونها، بلادهم وموطنهم والارض التي عاش فيها آباؤهم واجدادهم منذ أجيال ودفنوا في تربتها .

وينتقل المؤلف في فصل آخر الى بحث «اسباب المعيشة» في الازمنة الغابرة عند ابناء فلسطين وانواع المهن المعروفة، بعد ان يثبت بشواهد موثوقة عدة احصاءات عن الزراعة والحقول، وينتقل بعد ذلك الى التحدث عن ترقي الصناعات في الازمنة الحاضرة وانتشار نواحي استغلال البر والبحر ثم عن العوامل التي تقف امام الصناعة العربية وعن التجارة في فلسطين واتساع افقها بعد الحرب الكبرى وعن اغلب الشؤون الاجتماعية اليوم .

أما الفصل الاخير فقد قدم المؤلف فيه دراسة عن «مستوى المعيشة» في فلسطين ومقابلتها بغيرها من البلدان المجاورة . وعن خلاصة الاحصاءات الحيوية ونظام الاسرة وطرق المواصلات والدخل الوطني والحد الادنى للمعيشة من الارض وعن الصحافة والنظام القضائي والتعليم وسائر المعاملات .

وهكذا جاء هذا الكتاب جامعاً لمظاهر الحياة في فلسطين وملما بشتى الشؤون الاقتصادية والاجتماعية التي تهم البلاد، ومقدماً عرضاً وافياً دقيقاً عن حالتها في الماضي والحاضر، كل ذلك نتيجة دراسة وتمحيص وجهد واختصاص لا شك ان المؤلف اعتمدها

لتقرير الجانه . لتكون اقرب الى الواقع والحقيقة والعلم .

وهذا ما يجعل الكتاب ، باسلوبه الطريف ، ودقته العلمية ، قيماً جديراً بالاقبال والاعجاب .

٢ ــ مشاكل الفلسفة

لبرتراند رسل – تعريب الاستاذين عبد العزيز بسام ومحمود ابرهيم محمد
١٤٤ صفحة – مطبعة الشعب – بغداد

يعد برتراند رسل – الفيلسوف الانكليزي المعاصر – من المفكرين المستقلين الذين ساروا في منهجهم الفلسفي على طريقة الشك كديكارت مثلاً . وقد استن رسل مبدأه بمعارضة جميع الآراء التي تقدمته ونفي وجود الجوهر في الكون بعكس مذهب اسبينوزا الذي اعتبر الله هو الجوهر الازلي وكل ما في الكون هو من صفاته ومذهب ليبنتز الذي اعترف بوجود جواهر عقلية كثيرة مستقلة ومذهب لوك الذي نفى وجود الروح وجعل المادة اساس كل شيء . ومذهب باركلي الذي اعتبر الروح هو الاساس الثابت ومذهب هيوم الذي جعل العقل هو الجوهر الفعلي .

وتقوم نظرية رسل على تطور العلوم الطبيعية التي تجعل من الخطأ اعتبار الالكترون والذرة هما أصل جميع الكائنات المادية بل تتمشى مع نظرية اينشتين النسبية ونظرية شرويدنجر في تفاعل الذرة والتي ترجع كل شيء طبيعي الى نظام الحوادث . وهو بنظريته هذه ينكر وجوب وجود العلة لوجود المعلول ويقول بان انكارنا للجواهر يقتضي انكارنا للاشياء . لان الاسباب الموجبة للانكار واحدة فليس في الكون ذوات وصفات بل حوادث تؤلف ما ندعوه ذاتاً وحوادث تؤلف ما ندعوه صفات .

وبذلك قضى رسل على اصول الفلسفة القديمة وهي نظام الجواهر ، ويحث بكتابه هذا « مشاكل الفلسفة » – وهو من آثاره الاولية – ، الآراء الفلسفية التي استنبطها الفلاسفة قبله فعالجها بالتحليل ثم بالنقض واحياناً بالمهاجمة . وخلاصة رأي رسل في هذا الكتاب كما ذكره المعرب انه يسلم بوجود اربعة انواع مختلفة من الذوات وهي (١) العقول المدركة (٢) الحقائق الحسية (٣) الكليات وادراكها بالمعرفة المباشرة (٤) الاشياء الطبيعية وادراكها بالمعرفة بالوصف .

وفي الكتاب من حرية البحث ومتعة الموضوعات والجدل المنطقي والنظريات الفلسفية الجديدة والمسائل الهامة في حياة الانسان والكون والروح والمادة ما يجعل لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة خليقة بالدرس ، والفهم ، والمناقشة . وجديرة بالا تفوت اطلاع الاديب والقارىء العربي المثقف .

وقد جهد المترجمان الفاضلان في جعل المصطلحات العلمية الشائكة من المصطلحات المشاعة بين المترجمين حتى لا يجهد القارى نفسه في تفهمها فاحسنا بذلك صنعاً ، وكان ان ابتعدا عن مساوىء الترجمة الحرفية .

وبذلك جاء اسلوب الكتاب في العربية سهلاً سلساً فيه دقة البحث العلمي ومتعة السرد الادبي ، فبلغ من التوفيق والاجادة مبلغاً يحمد عليه .

٣ ــ كأس ومصباح

للاستاذ محمد اديب نحوي – ١٠٠ صفحة – مطبعة الاديب – حلب

هذه محاولات قصصية قدم المؤلف فيها صوراً عابرة لبعض جوانب الحياة ، فجاءت هذه الصور لا تروي ظمأ القارىء بالنظر لقصرها ولوجود نقص في التعبير عن حوادثها ولا يمكننا تسميتها بالقصص ، لان القصة مهما تنوعت وجب ان يكون فيها ما يسمى بالعقدة او بالفكرة التي تدور حولها الحوادث حتى تقود الى الحل او الخاتمة حيث تتجلى هنا براعة القاص في ترك روعة مؤثرة في نفس القارىء . كما ان هناك قصصاً قوامها الحوادث التي تعبر عن الفكرة ، وفي هذا الكتاب الذي بين يدي ، وهو يحوي عشر صور قصصية لم اعثر في واحدة منها على ما يسمى بالقصة الصحيحة بغض النظر عن مبلغ نجاحها وتوفيقها ، بل هناك خطوط اولية لصورة من صور القصة عالجها المؤلف باسلوب شعري وسرد غير متماسك دون ان يعني بالعقدة او بالحل ، فجاءت هذه القطع واهية الهيكل ، خالية من الروعة والمتعة احياناً كما في القطعة الاولى « كأس ومصباح » التي هي عبارة عن وصف شاب جلس في حانة بعد انفضاض الزبائن عنها واخذ يذكر ما اتخذ له من عشيقات اعتدى عليهن وهو لم يتجاوز الثامنة عشر ، وفي الاثناء جاءته احداهن فطلبت اليه الخروج والخلاص من هذه الحياة اللاهية ولكنه ابى واخيراً هالتها حالته المحزنة وصحته المنهوكة فاتت بالسم ووضعته في كأسه وكأسها وشرباه معاً . وهكذا انتهت القصة . وهي كما يرى معي القارىء مليئة بالمتناقضات والمبالغة التي تخالف الواقع وينقصها كثير من التحليل والحوادث وقوة السبك وليست القطع التالية لتخرج في هيكلها عن شكل القطعة الاولى . كقطعة « المهرج » مثلاً وهو ممثل يقتل نفسه على المسرح وقطعة « قتلت ابي » وهي مبهمة في آخرها الا ان قطعة ابنة الحانة لا تخلو من روعة ولفتات بارعة في التصوير .

هذا واسلوب المؤلف فيه اشراق وسلاسة تلمح فيه الصور الشعرية والعبارات المنمقة التي تضفي على قطعه لوناً طريفاً من

الذوق الادبي والمتعة وبالاجمال ففي « كأس ومصباح » استعداد لكتابة القصة ولكنه لم يبلغ بعد درجة القصة كما يجب ان تكون وهو محاولة في بدء الطريق ...

٤ ـ معرض الادب والتاريخ الاسلامي

الاستاذ عبد الغني حسن – ٢٣٦ صفحة – مكتبة الآداب بمصر

هذه فصول تبحث في تاريخ العرب من الوجهة الثقافية والفنية والادبية . كل فصل مستقل عن الآخر بذل له مؤلفه جهداً فائقاً في جمع معلوماته واستقصاء مصادره وشوارده . فالفصل الاول يتناول ارتياد جزيرة العرب من قبل الافرنج وتاريخ هذا الاتصال وآثاره . والفصل الثاني التجارة الاسلامية على مر العصور والثالث الوزارة والوزراء في الاسلام وهكذا دواليك عن المكتبات العربية في الشرق والغرب ودور التحف والرحلات والشعر والخطابة والفكاهة الخ ... وهكذا لا تجد بين فصول هذا الكتاب من صلة او تسلسل في البحث والموضوع . وكل فصل يبحث في موضوع مستقل عن الآخر ويعالجه معالجة مقتضبة ولكنها وافية تعطي القارىء المعلومات الصادقة والانباء الطريفة والفائدة المرجوة . وهذا التنويع في الموضوعات لما يغري القارىء بالاقبال على المطالعة ويترك فيه اثراً من المتعة والتشويق ويدفع به الى الاعجاب بالادب القديم يتقصى لبابه .

وهكذا جاء الكتاب كما دعاه المؤلف معرضاً فيه كل غريب وطريف عن العرب في الماضي ولكنه كتب لا تشبع بأبحاثه القصيرة نهم الباحث المستقري . ولا ينزل بموضوعاته المتنوعة الى حد الابتذال ، فهو على اشراق في البيان وسلامة في الديباجة ودقة في المعالجة ، وجمال في العرض والتنسيق يغني على صغر حجمه عن كثير من الكتب الصفراء .

اديب مروة

بولونيا بين الماضي والحاضر

نشرته اللجنة العالمية للاتحاد البولوني – ترجمة الاستاذ يوسف داغر ٢٢٥ صفحة – بيروت

كتاب قيم وضعته لجنة خاصة من كبار الادباء والعلماء البولونيين الاخصائيين ، ومعظمهم اساتذة في المعهد البولوني للدراسات الايرانية في بيروت ، ونشرته اللجنة العالمية للاتحاد البولوني وذلك للتعريف بالقضية البولونية في البلدان العربية . وقد تناهد هؤلاء العلماء في وضع الفصول المختلفة التي تعالج القضية البولونية وما يلابسها من حدثان تتعلق بتاريخ هذه الامة وحضاراتها واشعاعها الفكري ونشاطها السياسي ونظامها الاجتماعي واقتصادها الوطني .

كل ذلك بعرض علمي رائع مؤيد بالادلة مخدوم بالاحصاءات الدقيقة التي تشير اشارة قاطعة الى مدى التطور الذي قطعته هذه الامة الناشطة في مدة عشرين سنة من الحكم الوطني المستقل .

والقصد من نشر هذا الكتاب هو ان يثير في الاوساط العربية ، على اختلاف صعيدها ، تفهماً صحيحاً لقضية جاءت بين ضمير التاريخ في مأتى الحق والعدالة الانسانية .

والكتاب يأخذك بما فيه من روعة العلم والتدقيق وبهذه الديباجة الناصعة والعبارة المنسجمة ، وبهذه الروح الجياشة التي تتطاير وطنية وغيرة . وبما يتخلله من الرسوم الناصعة التي تشير الى الكثير من الاحداث التاريخية من بولونية واوروبية عامة ، وتلك المخططات والخرائط التي تتيح لك تمييز الوقائع في الزمان والمكان .

والكتاب ينتهي بثبت طويل غزير بالمصادر والمراجع العربية والفرنجية التي يصح الركون اليها للاستفادة المسهبة . وقد فات المترجم بعضا منها كالكتاب الذي اصدره سليم طه التكريتي بعنوان « القضية البولونية (بغداد ١٩٤٥ . ص ٤٨) والكتيب الذي وضعه اسعد حليم بعنوان : كنت في ليتوانيا وبولندا وفلندا » وهو من منشورات دار الفجر في مصر .

وعلى كل فالكتاب مجهود علمي كبير اغنى صدوره المكتبة العربية .

ابن جلا

دمشق القديمة

الاستاذ ريمون لوار – بالفرنسية ٦٩ صفحة – منشورات اوبانال الوالد – افينيون فرنسا

ريمون لوار قصاص ماهر له لونه الخاص في كتابة القصة لا يجاريه فيها مجار ، فهذه « دمشق القديمة » كما نعرفها يصورها لنا بعظمتها وتاريخها وآثارها ، يصفها ويبرزها صوراً رائعة خلال اقاصيصه فمن جامع امية الى مدفن صلاح الدين ، يرينا عظمة دمشق الخالدة مدينة الفاتحين بلغة سليمة غنية بالتعابير الشيقة وهو بناء قدير يتقصى الكلمات التجديدية ، والكتاب ذو فائدة لا تنكر . واليك ما قاله في تقديمه الكتاب لاصحابه الدمشقيين : « الى اصدقائي الدمشقيين الذين قاسمتهم خبز الضيافة العربية وملحها » .

صدقت يا ريمون ، لانك عرفت – كمتحدر من اصل اجنبي – ان تحافظ على حرمة الضيافة الشرقية ، فكنت صديقاً لاصدقائك وفياً ابياً .

ر . م .



اين نحن من الثقافة

بقلم يوسف اسعد داغر

امين دار الكتب اللبنانية

☆

بمناسبة المؤتمر الثقافي الاول الذي تنصرف جامعة الدول العربية الى اعداد عقده في لبنان في غرة ايلول القادم رأينا ان نضع تحت انظار العالم العربي ، شيئاً من مطالب الثقافة العربية الحديثة ، وحاجاتها الملحفة ، فنعالج قضية لعلها من اهم قضايانا ومن اكثرها حدة وبروزاً ، عنينا بها « قضية ما بعد المدرسة » لانه على مقدار التوفيق في الحلول المطلوبة لهذه الازمة الحادة ، يتوقف الى حد كبير فرجة الامل وانبساط الرجاء ببزوغ فجر جديد امام الجيل الطالع يستطيع معه الوصول الى منابع العلم وورود حياضه واستمراء غذائه .

ان قضية تعليم النشء الجديد في الامة ، مسألة اساسية تمت الى تكوين الشعوب وتقدمها ورقيها بصلة وثقى ، وهي امور لا تتم ولا يستتب امرها الا بانشاء المدارس على اختلاف درجاتها وتوحيد مناهج التحصيل وبرامج التعليم ، فتضع لها الحكومات لوائح دراسية مبنية على روح الامة ومستوحاة من مقومات حياتها وتاريخها واتجاهاتها القومية حسب ما تفرضه الاصول الفنية للتربية الحديثة ، فتكل امر القيام بتلك المدارس ، الى اساتذة ومربين اكفاء تم لهم التحصيل اللازم والتهيؤ المسلكي والمهني .

الا ان هذه الشروط الاساسية لا تضمن وحدها — ان توفرت — الوصول الى الغاية المثلى المتوخاة من التعليم : الا وهي رفع المستوى العلمي والادبي ، والنسبة الاخلاقية في الامة وتغذية الثقافة فيها . فاذا ما قصرت الحكومة عنايتها على هذه الناحية وحدها ، ولم تتم عملها التهذيبي بانشاء المكتبات وتعميمها فسد عليها الامر وكانت جهودها وسياستها التعليمية ناقصة لا تأتي بالثمار الطيبة .

كيف حل الغرب قضية المطالعة ؟

فطنت الامم الغربية للامر وحذرت السقوط فيه ، فأنشأت في عواصمها وحواضر بلادها مكتبات وفيرة من اهلية وبلدية واقليمية ومدرسية ، عندنا منها عشرات الالوف في الدول العظمى ، وجعلت منها محجات للعلم لجميع الاوساط ، يقرأون في دورها وغرفها وقاعاتها ما لذلهم وطاب ، ويستعيرون منها ما يرغبون في تصفحه بانعام فكر وامعان نظر .

ولم يقتصر الامر لدى الغربيين ، في معالجتهم قضية ما بعد المدرسة وتيسير اسبابها ، على جهود الحكومة وعنايتها ، بل قامت جميع الهيئات العلمية في الامة والمؤسسات الثقافية والمنظمات الادبية والفنية على اختلافها تعني بتأسيس مكتبات خاصة بها وباعضائها ، فالبلديات لها مكتباتها ، ومثلها الجامعات بكل ما لها من فروع وكليات ، واني معطيك في ما يلي بعض ارقام تدلك على المنزلة التي وصلت اليها بعض هذه الدور الجامعية حيث اصبحت المكتبة فيها آلة كبرى من آلات التعليم والتتبع .

اسم الجامعة	كتب مجلدة	صحف متداولة
جامعة هارفرد	٢٤٩٧ ٢٠٠	٠٠٠٠٠
جامعة يايل	١٩٠٠ ٠٠٠	٠٠٠٠٠
جامعة شيكاغو	١٠٠٠ ٠٠٠	١٣١٨٥
جامعة كولومبيا	١٣٠٠٥٩٦	٤١٤٣
جامعة ميشيغان	٧٧٥٥١٦	٦٠٠٠
جامعة كاليفورنيا	٦٣٨٩٣٣	٥١٣٩
جامعة ايلينوى	٨٤١٣٩٥	١١٧٧٤
جامعة منيسوتا	٧٧٥٤٩١	٦٠٠٠

وكذلك الجمعيات والنوادي العلمية والمجامع والاكاديميات

والنقابات والتعاونيات والمنظمات العلمية والمؤسسات الثقافية — ومنها عدد غفير في بعض الامم الكبرى — لها خزائنها الخاصة ومكتباتها . فلجمعية الاطباء مثلا مكتبتها ، ومثلها لرابطة الصيادلة ولنقابة المحامين ، ولرابطة الاثريين وعلماء العاديات ، وللجمعيات الاستشراقية او المستعربة والمهندسين والميكانيكيين والكهربائيين ومثلها للموسيقيين والمصورين والرسامين، وكذلك منظمات العمال ونقابات الصناع لها مكتباتها ، وهكذا السجون واصلاحيات الاحداث والمستشفيات وجمعية الفنادق الكبرى ودور السينما لها ايضاً خزائنها . وكلها تعنى بالكتاب وتنظيمه وتبويبه بصورة علمية ، فنية صحيحة سليمة تشوقك اليه وترغبك فيه . فكيفما ذهبت واينما القيت النظر وجدت الكتاب في متناول العين .

فلا تعجب بعد هذا ان تسمع الوزير الانكليزي بلدوين يصارحك بقوله : « الكتب اصدق الاصدقاء ، وكل بيت لا يكون فيه مكتبة ينقصه شيء كثير، لست تلميذا ولكني احب المطالعة . ونحن اليوم في الوزارة، لا نستطيع ان نتخلى عن الكتب وعن مراجعتها ، فاحياناً كثيرة نعود الى هذه الكتب ونستفتيها ونسألها اراءها في الامر . ولقد ولدت في المكتبات وتربيت فيها وكنت كثيرا ما اتناول طعامي والكتاب في يدي ، ولا اتمنى على الله شيئاً بعد ان بلغت هذه السن الآن غير رجعة الى أولئك الاصدقاء الذين عشت صباي بينهم فاعاشرهم واسامرهم . فالمكتبة بيت الانسان الروحي ولا يتخيلن احد منكم انه يستطيع ان يستغني عن هذا البيت . وربما كان ادعى الامور الى حزن الانسان فقده يوما فيوما معاصريه وذوي عشرته . اما في الكتب فيجد الانسان رفقاء واصدقاء وذوي عشرة من جميع العصور والاجيال . فهذه هي قيمة المكتبات ، وهذا هو سبب حبي لها وربما كان هذا سبب حب الكثيرين منكم لها ايضاً . »

ولما رأت الحكومات الراقية في الغرب ما كان من النتائج الباهرة لعمل المكتبات التثقيفي ، عمدت الى الاكثار من تلك المعاهد وتعميمها في الارياف والانحاء النائية منها ، فقد قررت بعض الدول الانكلوسكسونية ايجاد مكتبات متنقلة او سيارة ، تعرف بالانكليزية بـ Book wan, Book Truck, Book Wagon وبالفرنسية Bibliobus تنتقل من المدينة الى القرية بسيارة معدة لان تكون خزانة للكتب . وتقسم هذه السيارة الى اربعة اقسام : قسمان للروايات ، وثالث للكتب العلمية ، ورابع خاص بكتب الاطفال . وتقوم تلك المكتبات السيارة بعمل جليل في نشر العلم واعطاء الفرصة لسكان القرى النائية في ان يستعيروا ما يريدونه من الكتب للقراءة والاستفادة .

وهذه البدعة ، ترجع اصلا الى سنة ١٩٠٥ ، فقد فكر حاكم منطقة ماريلند ان ينظم في سيارة كبيرة مكتبة تطوف في القرى وتقف في كل شارع وساحة وامام البيوت قصد تعويد القرويين على المطالعة .

وقد انتقلت العادة الى اوربا ، فاستعملوا ناقلات اصغر مما في اميركا ، تحمل نحوا من ٢٠٠ كتاب لاستعمال الكبار و ٢٠٠ لاستعمال الصغار والاحداث ، فتعار الكتب ضمن قوانين معروفة ولاحظوا ان هذه الوسيلة تساعد على زيادة نسبة المطالعة بعشر اضعاف . ففي كل اسبوع تسترعي السيارة الانظار وكل اسبوع يؤتى بكتب جديدة . وقد لاحظوا ان القراء بعد ان طالعوا كتابا من الكتب السيارة يلجأون الى مخازن الكتبيين ليبتاعوا ما يزيدهم علماً واطلاعا .

اما اول من اتبع الخطة الاميركية فهي انكلترة ، واليك الخطة العملية التي اتخذتها وهي منتشرة في جميع انحائها . يقف المتفرجون امام السيارة فيقرأون من الخارج عناوين الكتب ، واذا رغب احدهم مطالعة كتاب طلب ان يودع عند كتبي مستأجر في البلد يوكل اليه اعارة الكتب لطالبها واسترجاعها منهم بعد قراءتها .

وتعد المكتبة المتنقلة فرعا من دار الكتب العامة التي تمدها بما تحتاج اليه من الكتب . وفي سنة ١٩٣٠ بلغ المستعيرون من المكتبة السيارة في « كنت » ، وهي احدى ضواحي لندن ، ١٬٢٢٣٬٠٠٠ كتابا ، وتبذل مجهودات كبيرة في اختيار كتب الاطفال من احسن الطبعات ثقة منهم بانه كلما كان الكتاب جميل المنظر جيد الطبع ، كثرت عناية الاطفال به . ولا يزال الكتاب لدى الطفل القروي شيئاً ثمينا . ولقد اخذت سيارة الكتب تطوف في انحاء المانيا وفرنسا وليتها تدخل بلادنا لنشر الكتب ولتحبيب القراءة من طبقات الشعب فتزيد من ثقافته .

انت ترى مما تقدم ، ان لا ثقافة حقيقية في بلد ما ، الا بما فيه من المكتبات . جميل ان تقوم في البلاد مدارس ، واجمل من ذلك ان يتم عمل المدرسة في البلاد بانشاء المكتبات فيها . لا نزال نحن في الشرق نعد المكتبة من الكماليات ، لا ضرورة لازمة للتوسيع في العلم والثقافة لمن اراد العلم والثقافة ، وذلك على النقيض مما عليه اهل اوربا واميركا فهم يعنون عناية خاصة بتنشئة التلاميذ في بدء حياتهم المدرسية على ارتياد المكتبة في البيت

وفي الفصل وفي المدرسة وفي الحي ، ومطالعة ما يكسبهم خبرة ودراية ، وينمي ملكة الفكر فيهم وقوة الابتكار عندهم ، ويدربونهم على البحث في الكتاب معتمدين على انفسهم في كل ما يبغون الحصول عليه .

فهذه بلجكة مثلا ، وهي من دويلات اوربا ، تفتخر بانها حلت قضية المطالعة في بلادها حلا مرضيا يحفظ لشعبها وحدة الثقافة في مناحي التفكير والتهذيب .

ويعود معظم الفضل ، في ذلك كله ، الى السيد « ديكله Desclée » الذي وزر للمعارف العامة والفنون الجميلة سنة ١٩٢١ فقد جاء في خطاب له القاه في الندوة النيابية : « نظرت الى المكتبة العمومية نظري الى امر لا غنى عنه لانجاز عمل المدرسة واتمامه . . فانشاء المكتبات والنهوض بها يجب ان يكون دوما وابدا هدف الشارع وموضوع رغبته . وهو لعمري امر شديد الالحاح يسترعي الانتباه ويؤخذ بجامع العقل لاسباب ثلاثة : اولها ان النهضة الوطنية في البلاد لا يمكن ان تقوم الا على النهضة الفكرية . ثانياً ان تحديد العمل في المصنع على قاعدة ثماني ساعات يوفر بالتالي للعامل ثماني ساعات للراحة وللترويح عن عناء النفس . فبعد ان حللنا ، بهذا التشريع ، دون ارهاق العامل في المصنع ، يصبح اصلاحنا الاجتماعي مبتوراً اذا لم نفكر في الوسائل التي تمكن العامل من الاستفادة من سويعات فراغه بصورة مفيدة ولذيذة في آن واحد . ثالثاً ان ارتفاع اثمان الكتب وصيرورتها عرضة لتقلبات صروف ما بعد الحرب لما يحد من رغبة الشاري ويحول دون وصوله الى الكتاب او وصول الكتاب اليه ، على الوجه الايسر .

وعلق السيد « شارل ديباس Ch. Deppasse » على هذا التصريح الخطير يلقيه وزير المعارف في بلجكا من فوق منبر الندوة النيابية ما هو بالحرف الواحد : « ان هذا التصريح يبين بجلاء ووضوح مدى تأثير المكتبات كما انه يطلعنا على التقدير العظيم للمسؤوليات التي عهدت بلادنا بها اليها . »

فان بلجكا لا تزيد مساحتها عن ثلاثة اضعاف مساحة الجمهورية اللبنانية ، ومع ذلك فهي تعد ٢٣٨٨ مكتبة عمومية (احصاء سنة ١٩٢٩) معترف بها رسمياً من السلطات . ولا يدخل في نطاق هذا العدد المكتبات غير الرسمية ، وهي التي لم يعترف بها رسمياً حتى الآن لعدم احرازها الشروط الفنية القانونية . فان الحكومة البلجيكية ، سنة ١٩٣٠ ، خصت هذه المكتبات بما تزيد قيمته على ١٬٥٠٠٬٠٠٠ فرنك نقداً ، ورصدت لها مجالس الادارات في الولايات المركزية اعتمادات نقدية او عينية من كتب او نقود بلغت قيمتها ١٬٠٧٨٬٠٠٠ فرنك ، وذلك بصرف النظر ايضاً عن المبالغ العظيمة والهبات الوافرة التي تبرعت بها الجمعيات العلمية . وقد أعارت تلك المكتبات ، خلال السنة نفسها ٧ ملايين من المجلدات لعدد من المطالعين والقراء بلغ ٥٨٥٬٤٦٦ مطالعاً :

وعلى ما تقدم قس ايضاً المكتبات في اسوج ونروج وسويسرة والدانمارك وفنلندا ، وهي اصغر دول اوربة قاطبة ، فان عدد خزائن الكتب العامة في الدانمارك التي تبلغ مساحتها ٣٨٬٩٧١ كيلومتراً مربعاً ، يربو على ٩٠٠ مكتبة عمومية ، عدا عن المكتبات الاهلية ، مع العلم ان سكان هذه المملكة يرتفع الى ٣٬٧٠٦٬٣٤٩ (عام ١٩٣٩) ، وتضم هذه الخزائن ١٬٧٠٠٬٠٠٠ مجلداً ، وقد عينت لها الدولة في موازنتها لسنة ١٩٣٠ اعتماداً قدره ٩٠٠٬٠٠٠ كرون ، وامدتها مجالس الادارة بما يوازي هذا المبلغ .

واهم مكتبات الدانمارك على الاطلاق ، هي المكتبة الاهلية في العاصمة كوبنهاغن اذ يبلغ عدد الكتب فيها ١٬٠٠٠٬٠٠٠ مجلد ، اما موازنتها فقد بلغت سنة ١٩٣٥ ما قيمته ١٬٩٠٠٬٠٠٠ كرون منها للشراء وحده ٩٠٠٬٠٠٠ كرون .

وقد رأينا ان نثبت هنا على سبيل المقارنة ميزانية دار الكتب اللبنانية من سنة ١٩٣٢ حتى ١٩٤٧ فيتبين منها القارىء الكريم ، بلمحة خاطفة تطورات اعتمادات الدار المذكورة ولا سيما ما خص منها للشراء والتجليد :

السنة	موازنتها العامة	موازنة الشراء والتجليد
١٩٣٢	٨٤٤٧	١٦٥٠
١٩٣٣	٧٥٤٣	١٢٢٥
١٩٣٤	٧٣٩٨	١١٢٥
١٩٣٥	٧٦٣٠	١١٢٥
١٩٣٦	٩٨١٣	١٧٠٠
١٩٣٧	١٠٤١٣	١٧٠٠
١٩٣٨	٧٢٦٤	١٠٠٠
١٩٣٩	٩١٨٠	٣٠٠
١٩٤٠	٨٧٥٧	٣٥٠
١٩٤١	١١١٩٩	٣٠٠
١٩٤٢	١٨٤٠٢	١٠٠٠
١٩٤٣	٢٥٧٦٠	٢٠٠٠
١٩٤٤	٤٣١٤١	٦٥٠٠
١٩٤٥	٤٥٧٩٣	٦٥٠٠
١٩٤٦	٣٦٧٥٠	١٧٥٠٠
١٩٤٧	٣٤٦٦٨	١٠٠٠٠

فيكون المعدل السنوي المخصص للشراء والتجليد ٣٤٠٠ ليرة لبنانية تقريباً مع العلم ان سكان الجمهورية اللبنانيـــة المقيمين يبلغون المليون عداً .

ذكرنا ما ذكرنا عن صغريات الدول الاوروبية لوجود وجه الشبه بينها وبيننا من حيث المساحة وعدد السكان . فان الدول الكبرى تعالج قضية المطالعة فيها كما تعالج القضـايا الحيوية المتعلقة بسلامتها .

وهاك احصاء بما تنفقه بعض الدول الكبرى ثمن كتب على كل فرد من رعاياها، اخذناه من احدى المجلات التربوية قبيل نشوب هذه الحرب . فالولايات المتحدة تنفق في السنة ٢٥ فرنكاً ثمن كتب على كل فرد من سكانها ، وتنفق المانيا ٢٠ فرنكا ، وانكلترا ١٠ فرنكات ، وفرنسا نصف فرنك وبلجكا ثلاث فرنكات . فكم ينفق لبنان، يا ترى، لبنان المثقف ؟ رائد النهضة الادبية في الشرق العربي على الكتاب وكم يصيب منه النفس الواحدة؟ وقد مر معنا ان المعدل السنوي المخصص للشراء في موازنة دار الكتب اللبنانية بلغ في الـ ١٦ سنة الماضية ثلاثة آلاف واربعمائة ليرة . فيكون ما يصيب كل ثلاثة اشخاص غرش واحد لا غير في السنة .

احب ان أضع تحت انظار القارىء الكريم صوراً مصغرة ، وان شئت فالواحاً زاهية مما للمكتبات في انكلترا واميركا، على التخصيص ، من اهمية ومكانة . وهذه الصور والارقام توينا جانباً من عظمة تلك الدولتين . وقد اخذنا هذه المعلومات من كتاب: « المكتبات المدرسية » الذي اصدرته مجلة التربية الحديثة في مصر ملحقاً خاصاً لسنة ١٩٣٥، وقد قام باعداده نخبة من المربين في مصر ممن تلقوا فنون التربية الحديثة في الغرب منهم محمد عطية الابراشي ومحمد حسين الخزنجي ويعقوب فام واميرٍ بقطر واحمد لطفي السيد وغيرهم .

صورة من هذا الحل في انكلترا

المكتبات المدرسية في انكلترا مهمة كالمدرسة تماماً ، وقد اصبح ينظر اليها نظرة خاصة ويعنى بها عناية خاصة بعد ان انتشر مبدأ التعليم الفردي، وبعد ان اصبح المدرس مرشدا وناصحاً وبعد ان اخذ التلميذ حقه من العمل والبحث والتفكير ، وبعد ان نادت التربية الحديثة بضرورة ترك التلاميذ يعملون بانفسهم ينقبون عن المعلومات ويفكرون ويعتمدون على انفسهم ولا يلجأون الى المدرس الا وقت الحاجة فقط، وعند مواجهتهم لمشكلة مستعصية، لم يجدوا لها حلا ولم يمكنهم التغلب عليها بعد الرجوع الى مـا في المكتبة من مراجع ووسائل البحث والتدقيق .

وتهتم المدارس بتنظيم مكتباتها لمساعدة من لا يسعدهم الحظ من التلاميذ في انكلترا باشباع ميلهم ورغبتهم وشغفهم بالمطالعة والقراءة في المنزل، للفقر او لاي سبب آخر . والمشهور عن الانكليز عامة، رغبتهم جميعاً ، في القراءة،فهم يقضون في ذلك ساعات طويلة دون ملل او ضجر . لهذا لا تخلو المكتبات المدرسية من التلاميذ في اي وقت من الاوقات،فتجدهم يتهافتون على الكتب والمجلات والجرائد وغيرها .

وليس في المدرسة الانكليزية مكتبة واحدة، بل في كل فصل من فصول المدرسة مكتبة صغيرة للتلميذ ، بهـا كتب مدرسية وادبية تناسب المستوى العلمي للفصل ، وبهـا مصورات جغرافية وروايات تمثيلية وكتب للمراجعة ويقوم كل فصل بانتخاب احد تلاميذه للعناية بالمكتبة ، وهو مسؤول عن ترتيبها ونظامها .

ولكل تلميذ الحق في ان يستعير من الكتب ما يشاء لمدة معينة. فيذهب الى دفتر الاعارة ويدون فيه اسم الكتاب ، والامانة سائدة بين التلاميذ . وحينما ينتهي التلميذ من قراءة الكتاب في المدة المعينة يعيده الى موضعه في المكتبة ، وبهذه الوسيلة يعتاد التلاميذ النظام وتبث فيهم روح التعاون . واذا لم يستعر احـد التلاميذ شيئاً ، ساله مدرسه عن السبب وكلفه الاستعارة ثم اختبره بعد انتهائه من قراءة الكتاب في موضوعه .

وزيادة على المكتبات المدرسية تجد في كل مدينة انكليزية مكتبة عامة او اكثر ، وفي كل منزل مكتبة بها الكثير من الكتب الادبية والعلمية . ويهدى لكل طفل انكليزي كثير من الكتب التي تناسب سنه في يوم ميلاده

وجميع المكتبات المدرسية في انكلترة تعنى باختيار امنائها وموظفيها ، فتجد هولاء من الاشخاص الفنيين المتصفين بالعطف والاخلاص تمرسوا بعلم النفس الحديث والتربية الفنية والتعليم فتجدهم يرشدون الاطفال وينصحون التلاميذ ويساعدونهم في الحصول على ما يريدون . كما انهم على اتصال دائم بالمكتبات العامة التابعة للمجالس البلدية ، حتى يرشدوا التلاميذ الى ما فيها من الكتب التي لا توجد في مكتبة المدرسة .

عرف المربون ان الغرض من المطالعة ليس كسب العـلوم والمعارف فحسب ، ولكنه يشمل مع ذلـك التسلية وادخال السرور على النفس وراحتها من عناء الحياة ، وعرفوا ان حاجة صغار التلاميذ الى كتب المطالعة المسلية اشد من حاجتهم الى كتب

العلوم والمعارف . ولذا تجد المكتبات المدرسية الانكليزية غاصة بكتب التسلية . فهناك بجانب الكتب المدرسية ، كتب السير والمغامرات ، وكتب تصف الاقاليم النائية والشعوب المختلفة ، وهناك كتب لوصف الاستكشافات والمستكشفين والمخترعات الحديثة والمخترعين ، وكتب للروايات التمثيلية والروايات القصصية ، وكتب لوصف الآلات وطرق تركيبها ، وكتب لشرح كل مخترع حديث شرحاً عملياً سهلاً جذابا .

فبناء على ما تقدم ان كثرة الكتب واتقانها وتنوعها وسهولة نشرها وتوزيعها وكثرة المكتبات وحسن تنظيمها ودقة تنسيقها ، وتوافر اسباب الراحة لزائريها ، يشجع الطالب على مواصلة البحث ودوام الاطلاع . واني معطيك الارقام التالية وبعض الامثلة الدالة على عناية الشعب الانكليزي بالمطالعة واقباله على القراءة . فان عدد الذين استعاروا كتباً من المكتبات الانكليزية بلغ في بعض السنين نحواً من مليونين ومائتي الف شخص ، منهم ٥٩ في المائة من الذكور و ٤١ بالمئة من الاناث ، وقد كانت سن ٤٨ في المائة من هؤلاء المستعيرين تقل عن ٢٠ سنة ، وقد كان عدد المجلدات التي استعيرت في تلك السنة من المكتبات ، للقراءة في المنازل نحو ٦٠ مليون من الكتب ، منها كتب روائية بنسبة ٥٤ بالمائة ، اما الكتب التي انتفع رواد المكتبات في المراجعة ، في السنة نفسها ، فبلغت احد عشر مليوناً ، وقد بلغ عدد الزيارات التي قام بها هؤلاء الرواد نحو خمسة وثمانين مليوناً . (١) — حامد عبد القادر : « المكتبات كما رأيتها في انكلترة » ص ٣٧٣

وزاد عدد القراء في المكتبات التابعة للمجالس البلدية ، في انكلترة ، من مليونين ، سنة ١٩٢١ الى اربعة ملايين ونصف المليون ، سنة ١٩٣٦ ، وبذلك يكون ١٧ بالمائة من سكان انكلترة مقيدة اسماؤهم في قوائم تلك المكتبات .

وتوزع مصلحة التعليم في لندن ، على الاطفال الذين عمرهم عشر سنوات كتيباً صغيرا اسمه : الآن بعد ان اصبح عمرك عشر سنوات يتضمن وصف ما يجب اتخاذه لتعليم الطفل وتدريبه مع نصائح كثيرة في نصح الاطفال والوالدين .

ان هذه الارقام تنطق باهتمام الانكليز بالمكتبات واقبالهم على المطالعة ، وشغفهم بالقراءة ولا عجب اذا كان الواحد منهم يحدثك عن كل شيء : حديثا اخاذا ، ويحادثك في كل موضوع ، فتدرك فطنته ويقظته وسعة اطلاعه ودقة معرفته ببيئته وغيرها من البيئات والشعب الذي ينتمي اليه وبغيره من الشعوب .

يوسف اسعد داغر

الى مؤلفي الكتب المدرسية ودور النشر العربية

لمناسبة انعقاد المؤتمر الثقافي العربي الأول بلبنان في ٢ سبتمبر القادم للبحث في توحيد اتجاهات الثقافة العربية والعناية بموادها وأساليب تعليمها في نواحي اللغة العربية والمواد الاجتماعية في مراحل رياض الأطفال والتعليم الاولي والابتدائي والمتوسط والثانوي . يسر الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ان تدعو حضرات المؤلفين ودور النشر والمكتبات في جميع الاقطار العربية الى الاشتراك في هذا المعرض ، بأن يرسلوا اليها :

اولا — نسختين من الكتب المؤلفة في اللغة العربية بفروعها المختلفة لمراحل التعليم المتقدمة الذكر بما في ذلك الكتب المختصة بتيسير الكتابة والنحو والبلاغة وغيرها .

ثانياً — نسختين من الكتب الموضوعة في مواد التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية في هذه المراحل التعليمية .

ثالثاً — الوسائل العملية لتعليم فروع اللغة العربية المختلفة ووسائل الايضاح لمادتي التاريخ والجغرافيا كالمصورات والخرائط والمجسمات والأجهزة التي من صنع الافراد ودور النشر والشركات .

وادارة الثقافة تخير بين ارسال المعروضات الى الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بشارع البستان بالقاهرة أو الى وزارة التربية الوطنية اللبنانية ببيروت في موعد غايته آخر يوليو (تموز) سنة ١٩٤٧ .

وسترد المعروضات لأصحابها بعد انتهاء المؤتمر عن طريق الأدارة الثقافية ، الا اذا شاء المؤلف اهداء النسختين أو احداهما لأدارة الثقافة بالجامعة العربية لحفظها لديها تسجيلا لحركة التأليف المدرسي في هذه المواد ، ورغبة في التعريف بها ، واشاعة الانتفاع منها في اوسع نطاق .



٣٠ ايار – كتب مراسل روتر الديبلوماسي يقول ان موسكو طلبت اعتقال رئيس وزارة المجر بتهمة الاشتراك في قلب النظام الديمقراطي وهو الان يقيم في سويسرا .

– طلب الجنرال ايزنهاور الاحتفاظ بكامل الاعتمادات العسكرية التي اقترحها الرئيس ترومان لميزانية العام المقبل استعداداً لحرب عالمية ثالثة .

١ حزيران – عندما وصلت الباخرة التي تقل الامير عبد الكريم زعيم الريف الى الاراضي المصرية في طريقها الى فرنسا نزل الامير منها ولجأ الى فاروق ملك مصر طالباً حمايته .

٢ – اعرب الجنرال مارشال وزير خارجية اميركا عن اطيب تمنياته للحكومة الايطالية التي يرأسها دي غاسبري ثم اعلن ان الولايات المتحدة ستستمر على مساعدة ايطاليا .

– قررت الحكومة المصرية استئناف العلاقات الدبلوماسية مع ايطاليا .

٣ – اعلن المستر جيمس بيرنز ان الرئيس ترومان سيخول بنك الاستيراد والتصدير ان يمنح ايطاليا قرضاً بمائة مليون دولار .

٥ – قامت البعثة الاميركية العسكرية بتفتيش مراكز الدردنيل الاستراتيجية، خصوصاً في الاماكن التي كان السوفيات قد طالبوا بالاشراف المشترك مع الاتراك على صيانتها ومراقبتها .

٦ – لفظت محكمة جرائم الحرب حكمها على الليوتنان جنرال ماساوبابا الياباني بالاعدام شنقاً . والجنرال بابا كان القائد العام للجيش الـ ٣٧ المرابط في جنوبي المحيط الهادي .

– وجهت وزارة الخارجية الاميركية مذكرة احتجاج شديدة اللهجة الى الحاكم العسكري السوفياتي في المجر وتقول المذكرة ان الدسائس والمؤامرات التي تحاك في المجر تدخل خطير العواقب في سياسة البلاد المجرية .

٨ – توالي الصحف السورية حملتها على الوزارة الحالية طالبة ابدالها بوزارة حيادية تشرف على الانتخابات .

٩ – قدم الشيخ سليم الخوري استقالته من المجلس احتجاجاً على اعمال التلاعب والتزوير .

١١ – صرح مدير الممتلكات الحربية في واشنطن ان تركيا واليونان قد منحتا الاسبقية في شراء البضائع على سواهما من الدول .

١٢ – رفض رئيس الجمهورية الفرنسية مقابلة وفد نقابة عمال الخطوط الحديدية المضربين ، هذا وقد امتد الاضراب الى شمالي افريقيا .

١٣ – ما تزال روسيا تهاجم سياسة اميركا في الشرق الاوسط . وقد اتهمت جريدة روسية سياسة ترومان بتقرير الرأسمالية في الشرق الاوسط « لم تعد تركيا دولة مستقلة سواء في الميدان العسكري او في الحقل الاقتصادي . . وان المشروع الاميركي لا يقتصر على التدخل في شؤون تركيا العسكرية بل يتعدى ذلك الى التمكين للرأسمال الاميركي في اقتصاديات تركيا .

– سافر بطريق الجو خمسة وعشرون من اعضاء لجنة التحقيق الدولية الى فلسطين .

– قررت اللجنة الدائمة للمؤتمر الهندي ان سيادة الامارات بعد جلاء البريطانيين يعود تقريرها الى الشعب لا الى الامراء .

١٤ – خصصت الحكومة المصرية مبلغ ٢٠٠٠ ليرة مصرية في الشهر للامير عبد الكريم الخطابي وعائلته .

– ابرقت الهيئة العربية العليا في فلسطين مذكرة الى منظمة الامم اعلنت فيها مقاطعة لجنة التحقيق وذلك للاسباب الآتية : ١ – رفض المنظمة ذكر تحديد نهاية الانتداب ٢ – رفض فصل قضية اللاجئين اليهود في العالم ٣ – ذكر المصالح الدينية في القرار النهائي التي ليست قط موضع جدال .

١٥ – ادلى سفير مصر في واشنطن بحديث فند فيه الحجج البريطانية في بقاء الجيوش في مصر لحماية قنال السويس .

١٦ – وافقت اللجنة الهندية لحزب المؤتمر على مشروع بريطانيا لتقسيم الهند .

– اعلن المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية انه سيتصل بالمسيو بيدو وزير خارجية فرنسا للمباحثة في مشروع مارشال القاضي بالتعاون الاقتصادي الاوروبي .

– شمل الاضراب جميع الدول العربية تنفيذاً للقرار الذي اتخذته الهيئة العربية العليا وهو اليوم الذي تبدأ فيه اعمال لجنة التحقيق الدولية في قضية فلسطين .

١٧ – وضع الحزب الشيوعي الروماني مشروعاً واسعاً « لانعاش اقتصاديات البلاد » وقدمه الى مجلس الوزراء فصدقه بالاجماع .

– تفيد التقارير التي نظمتها لجنة الحقوق الدولية في مؤتمرها الاخير في لندن انه لم يزل في العالم حتى اليوم تسعة ملايين عبد من الرقيق وتدعو اللجنة المذكورة منظمة الامم المتحدة لاتخاذ التدابير التي من شأنها ان تعتق هؤلاء .

– تفيد بعض المقامات ان المسيو هنريكو دي نقولا ينوي اعتزال منصبه كرئيس للجمهورية في ايطاليا .

١٨ – اعلن المسيو بيدو ان بريطانيا وفرنسا قررتا تأليف لجنة اقتصادية اوروبية لتحضير جدول بحاجات اوروبا بالنسبة الى مشروع المستر مارشال وقد وجهت الدعوة الى روسيا للاشتراك في هذه اللجنة .

– تصرح الاوساط المتصلة بجامعة الدول العربية ان عزام باشا بحث مع المستر مارشال اثناء مقابلته له قضية الحالة في افريقيا الشمالية والاعتراف بالجامعة كمنظمة اقليمية للامن ضمن نطاق هيئة الامم المتحدة .

١٩ – اعلنت رئاسة اركان حرب الجيش الايراني بان الجيش اصطدم مع قبائل بارزاني في الجبال شمال ماكو .

– كذب وزير الخارجية اليونانية الانباء القائلة ان الاتفاق اليوناني – الاميركي يحتوي على نصوص عسكرية سرية .

٢٠ – نفذ قرار مقاطعة لجنة التحقيق الدولية بفلسطين ولم يشترك زعماء العرب باي اجتماع .

– دعا اللورد تامبلودو في مجلس اللوردات البريطاني الى قطع الموارد الاولية عن اسبانيا، لانها الوسيلة الفعالة لتهديد فرنكو .

– ادلى عبد الرحمن عزام باشا في واشنطن بحديث الى الصحف جاء فيه بان الرئيس روزفلت اثناء مؤتمر الدار البيضاء قطع وعداً الى سلطان مراكش باستقلال افريقيا الشمالية .

٢١ – روعت الامة العربية بوفاة علم من اعلامها السياسيين المغفور له سعد الله الجابري ،

– التتمة في صفحة ٦٣ –



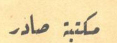
صلاح الأسير
الواحة
منتخبات شعرية
منشورات الأديب
الثمن ١٧٥ قرش ، فلس ، مل ، مليم



الدولاب الاميركي المصنوع من المطاط الطبيعي

●

دمشق : بكري وايوبي — شارع غسان



مكتبة صادر

شارع اللنبي — بيروت

☆

تقدم للقارىء العربي آخر ما اخرجته المطابع باثمان متهاودة تزودوا منها كل ما تحتاجون اليه في مطالعاتكم





ميدان سباق الخيل في بارك بيروت

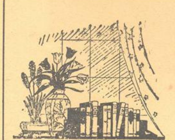
☆

منتزه جميل ورياضة جميلة

في وسط غابة الصنوبر

حفلات في كل يوم احد

الاديب



☆

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير)

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا: ١٢ ليرة لبنانية

في الخارج: ١٥٠ قرشاً مصرياً او٦ دولارات ونصف

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً او ٦٠ دولاراً كحد أعلى

☆

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

– للاعلان يراجع المدير الفني : مختار شملي

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

☆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت – لبنان

راجعوا :

السيد هاشم علي النحاس
ص . ب . رقم ٩٧
بمكة المكرمة

للاشتراك والاعلان في مجلة « الاديب »

●

مجموعات الاديب

☆

لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة		ليرة	جنيهات انجليزية	دولارات
الاولى	١٩٤٢	٣٥	او ٤	او ١٦
الثانية	١٩٤٣	٢٥	« ٣	« ١٢
الثالثة	١٩٤٤	١٥	« ٢	« ٧
الرابعة	١٩٤٥	١٥	« ٢	« ٧
الخامسة	١٩٤٦	١٥	« ٢	« ٧

●

تطلب « الاديب »

في ممباسا افريقية الشرقية

من المكتبة العصرية

لصاحبها علي غانم محمد